



— روايات مصرية للجيب —

زهور  
٣٠

# زوجي



د. نبيل فاروق

الطبعة الأولى  
الطبعة الثانية  
الطبعة الثالثة  
الطبعة الرابعة  
الطبعة الخامسة  
الطبعة السادسة  
الطبعة السابعة  
الطبعة الثامنة  
الطبعة التاسعة  
الطبعة العاشرة  
الطبعة الحادية عشرة  
الطبعة الثانية عشرة  
الطبعة الثالثة عشرة  
الطبعة الرابعة عشرة  
الطبعة الخامسة عشرة  
الطبعة السادسة عشرة  
الطبعة السابعة عشرة  
الطبعة الثامنة عشرة  
الطبعة التاسعة عشرة  
الطبعة العشرون



السلسلة الوحيدة التي لا يوجد الأب  
أو الأم شر فيها من وجهة نظرنا

### زوجي

عانت وسبعة طيلة حياتها  
من صطف كيا ولسونه على  
أهبا ولما خرجت من وحيها،  
ولم تترك ان تسامحه. كسوروك من  
والدها. أمحق لها ذلك السعادة،  
أم السقاء... إنها مأساتها...  
مأساة زوجة حائرة

## ١ - النهاية ..

سميحة حسين ..

اسمى ( سميحة حسين ) ..

هذا هو أنا ..

اسم من تسعة حروف ، أحوز أنا منه خمسة ،

وأترك لاسم أبى أربعة ..

إنها ليست أنانية أن أحصل على الأكثر ..

إنتى لم اختر اسمى ..

أبى فعل ..

هو اختار لى اسمى ..

وحياتى ..

ومستقبلى ..

هو المسئول الأول عن كل شىء يخصنى ..

المسئول حتى عن تلك الدموع ، التى تنساقط على

الورقة ، وتلوّث بعض الحروف ، وتطمسها ..

هو المسئول منذ البداية ..

منذ تزوّج أمى ..

\*\*\*\*\* ٥ \*\*\*\*\*

lilas.com

## زوجى

يا ربيع الحب هل نبت الضياء

فى قلوب لم تعد تبغى الحنين

تبكى صيفاً أشرقت فيه السماء

دون قيظ أو غيوم أو أنين

وتعيش عمراً فى خريف فى بلاء

شاخ فيه النبض وانحضر الجبين

ثم تحيا بعد أن جاء الشتاء

يحصد الأعمار يلتهم السنين

( نبيل )

\*\*\*\*\* ٤ \*\*\*\*\* lilas.com

لا تتعجبوا .. لا تظنوا أنني جاحدة ، متجنبة ..

إنني على العكس ، واقعية ..

واقعية جداً ..

صدقوني ..

لقد عشت عمري كله أفقر إلى الحنان ..

إلى العطف ..

إلى الحب ..

ولكن هذا لم يجعلني أبداً متهافة على تلك المشاعر ،

أو متلهفة على تلك العواطف ، كما تقول كتب الطب

النفسي ، التي أدمنت الاطلاع عليها منذ جداتي ، والتي

صارت جزءاً من دراستي بعد ذلك ، عندما التحقت

بكلية الآداب ، وحتى تخرجت منها ..

وكنت أظن أنني ، وعلى الرغم من كل تلك

الظروف ، التي أحاطت بي منذ مولدي ، شخصية

سوية ، وأنني لم ولن أتعرض أبداً للإصابة بأية عقد ،

أو أزمات نفسية ..

ثم كشفت فجأة أنني واهمة ..

كشفت هذا بعد فوات الأوان ..

بعد أن أدركت أنني حقاً معقدة ..

صاحبة مجموعة مخيفة من العقد النفسية ..

وكان أبي - أيضاً - هو سببها ..

هو المسئول عنها ..

وربما كان أبوه هو المسئول عما أصابني ..

أو جسده ..

أو جده ..

أو هو المجتمع ..

أو التقاليد ..

لست أدري ..

حقاً لم أعد أدري ..

إنني أقص عليكم قصتي ، لتعاونوني على التوصل

إلى الحقيقة .

إلى العقدة ..

أو إلى العلاج ..

أتعلمون أنني لم أحاول أبداً أن أستجدي رأى أى  
مخلوق آخر فى مشكلاتى الخاصة ..  
إننى حتى أسخر من أولئك الضعفاء ، الذين  
يرسلون مشكلاتهم إلى تلك الأبواب ، التى تمتلئ بها  
الصحف ..

أبواب القلوب المعذبة ، والبائسة ، ومشاكل  
الجيل ، وما إلى ذلك ..  
كنت أسخر منهم ، حتى وجدت نفسى بغتة  
واحدة منهم ..

فجأة .. شعرت برغبة عارمة فى أن أروى لكم  
قصتى كلها ..

بلا رتوش ..

بلا تجميل ..

بلا حذف ..

سأرويها لكم بكل تفاصيلها ..

معذرة ..

بكل ما يهتمكم من تفاصيلها ..

\*\*\*\*\* ٨ \*\*\*\*\*

فهناك تفاصيل لا يهتمكم أن تعرفوها ..

ليس لأنها بالغة الخصوصية ، وإنما لأنها تافهة ..

إنها تفاصيل روتينية ، تحدث فى كل البيوت  
والمجتمعات ، مع اختلافات طفيفة من بيت إلى آخر ،  
ومن مجتمع إلى آخر ..

وسنكتفى معاً بالتفاصيل المهمة ..

تلك التفاصيل ، التى كوَّنت فى النهاية قصتى ..  
بل مأساتى ..

مأساة أنثى كرهت أنوثتها ..

مأساة فتاة جنى عليها المجتمع ، وجنت هى عليه ..

هل بلغ بكم الفضول مبلغه ؟ ..

أأصبحتم ترغبون حقاً فى معرفة قصتى ؟ ..

اسمعوها إذن ..

أقصد أقرئوها ..

أقرئوها من البداية ..

\*\*\*

\*\*\*\*\* ٩ \*\*\*\*\*

## ٢ - البداية ..

تقول كتب علم النفس ، التي درستها ، إنه للوصول إلى نتائج خاصة بتحليل شخصية ما ، لا بد من الوصول إلى بداياتها أولاً ..

وهذا صحيح ..

فحتى القتلة والسفاحون ، ستجد في بداياتهم ما دفعهم إلى ذلك ..

كل مخلوق له دوافعه ..

وكل فعل له أسبابه ..

أو بمعنى أدق ، كل فعل هو في الواقع رد فعل ..

لا تجعلوا منطقي هذا يربكمكم ..

دعونا نناقشه في هدوء ومنطقية ..

إن مولدنا نفسه هو رد فعل لعلاقة والدينا ..

ونمونا هو رد فعل لقواعد الطبيعة ..

وحتى نضجنا ، وشخصيتنا ، هي ردود أفعال

لتربيتنا ومعاملاتنا ، وبيئتنا الاجتماعية ، وعشرات

العوامل الأخرى ..

المهم أننا نحيا وسط دوامة من ردود الأفعال ..  
ومأساتي ، التي ستتوصلون إليها بعد قليل ، هي  
رد فعل لمنشئ كله ..

وهذا يعود إلى البداية ..

إلى زواج أبي وأمي ..

لقد كان زواجاً تقليدياً ، تقدم فيه أبي لخطبة أمي ،  
دون أن يراها أو تراه ..

ووافق والدها - جدي - على الزواج ، دون

حتى أن يهتم بسؤالها عن رأيها ، وكأن هذا أمراً هامشياً ،

لا يعنيه بالكثير أو القليل ..

وكانت رواية أمي لذلك تورثني الحنق والسخط

والغيظ دوماً ..

لقد تأكدت - عن طريق اطلاعي الحر - أنه من

شروط الزواج الصحيح أن يتم سؤال العروس ، وأن

توافق ..

ولكن هذا لم يحدث ، في حالة زواج أبي وأمي ..

والعجيب أنها لم تعترض على ذلك ..

بل الأعجب أنها - على حد قولها - كانت تشعر  
بالفرح ..

كان الزواج في حد ذاته هدفاً ، لكل أنثى في  
عصرها ..  
ولقد نالته ..

ومنذ أول ليالي زواجها ، تحطمت في قلبها صورة  
الزواج الوردية ..

لقد كشفت أنها قد تزوجت رجلاً فظاً ، غليظ  
القول ، قاسى الفعل ..

ومنذ تلك الليلة ، انكسرت روحها الكريمة في  
أعماقها ..

وحتى اليوم ، اقتصرت مهمة أمي على خدمة ذلك  
الرجل الذي تزوجته ، وعلى إنجاب أكبر قدر من  
الأبناء له ..

وكان هو ، كمعظم أهل عصره ، يرغب في شدة  
في إنجاب ولد ، يرث ذكراه ، واسمه ، وثروته ..  
وفي هذا الشأن ، فشل جبروته فشلاً ذريعاً ..

\*\*\*\*\* ١٢ \*\*\*\*\*

لقد أنجبنا نحن ، خمس فتيات جميلات ، دون أن  
يحظى بولد واحد ..

ولولا أن أمي قد أنهكها الحمل والولادة ..  
ولولا أنه قد يئس أخيراً من نيل الولد ..  
ولولا بقايا من الرحمة والآدمية في أعماقه ، لكننا  
عشر ، أو ما يزيد ..

وكنت أنا أصغر بناته ..  
ولقد نموت وسط جحيم صامت مستتر ..

كنت أرى أمي تبذل جهودها ، وشبابها ، وحياتها ،  
في سبيل راحتنا وسعادتنا ، ثم يأتي أبي من عمله ،  
فيضن عليها بكلمة ثناء ، أو بلمسة رقيقة ، أو حتى  
بابتسامة واحدة ، تخفف عنها العناء ، وتمحو من نفسها  
شقاء اليوم ..

إنني لم أره أبداً يبتسم ..  
منذ طفولتي ، وحتى الآن ، لم أرَ ابتسامة واحدة  
على شفثيه ..

لقد تصوّرت في طفولتي أن الرجال لا يبتسمون ،

\*\*\*\*\* ١٣ \*\*\*\*\*

لولا أنني كنت أرى خالي يبتسم ويداعبنا ، كلما أتى  
لزيارتنا ، في فترات متباعدة ..

لقد كان أبي دوماً مقطب الجبين ، غليظ الأسلوب ،  
شديد اللهجة في التخاطب ، عنيفاً ، شحيحاً ..

كان كتلة من كل ما كرهته في حياتي ..  
معذرة ..

قد يصدم مشاعركم أن تعترف واحدة مثلي بأنها  
تكره والدها ..

قد يؤلمكم أن اعترف بذلك ..  
ولكنها الحقيقة ..

كيف لي أن أحبه ؟ ..

أتصوّرون أنني سأفعل ، لمجرد أنه أبي ؟ ..  
خطأ أيها السادة ..

لو أنكم تتصوّرون هذا ، فأنتم واهمون ، ومبالغون ،  
وتميلون إلى خداع أنفسكم ، تمسكاً بقواعد باهتة ..  
لا يوجد شيء واحد في العالم ، أو في الكون كله ،

\*\*\*\*\* ١٤ \*\*\*\*\*

يجبرني على حب أبي ، لمجرد أنه يحتل تلك المكانة ، التي  
لا شأن لي ، ولا يدلي فيها ..

حتى الله ( سبحانه وتعالى ) ، لم يأمرنا بحب  
الوالدين ..

لقد أمرنا ( سبحانه ) بحسن معاملتهما ، وطاعتهما ،  
وعدم نهرهما ، ومصاحبتهما بالمعروف ، ولكنه لم  
يأمرنا ( سبحانه ) بحبهما ..

وفي هذا حكمة إلهية بالغة ..

فالحب أمر يأتي من أعماق القلب ، ومن المستحيل  
أن يفرضه أمر ما ، أما تلك العوامل الأخرى فهي

اختيارية ، لا يضيرنا تنفيذها ، أو طاعتها ..

ولقد كان من العسير حقاً أن أحب أبي ..

لا أحد كان يحبه ..

أمي كانت تخشاه ..

وكذلك أخواتي ..

وعلى الرغم من تفاني أمي في خدمته ، كان يتفنن  
في عقابها ، وتقرّبها في شدة ، لأي خطأ ، ولو تافه .

\*\*\*\*\* ١٥ \*\*\*\*\*



لم تتجاوز صرختي قلبي ..

احتبست فيه حتى اليوم ..

كنت أرفض ما سيحدث ، وأبغضه تماماً ..

أرفض أن أتزوج بنفس الأسلوب السخيف ،

الذي تزوجت به شقيقاتي الأربع .

أرفض أن أتخلى عن حريتي ..

أن أتحوّل إلى مجرد جارية ..

ساعة ، يأتي شخص ما لاستعراضها ، ثم ينتهي

ابتسامة عريضة ، عندما ترُوق له ، ويقول في بساطة:

— سأخذها ..

كلاً .. لن أكون كذلك ..

ولكن أنسى لي أن أفعل ؟.

أنا أيضاً أخشى أبي ..

أخشاه في شدة ..

أنا أيضاً لا أجرؤ على معارضته ..

بل لا أجرؤ حتى على مناقشته ..

واستسلمت ..

وأحنقني أن فعلت ..

وقضيت يومى كله في حجرتى أبكى ..

لقد حدث ما كنت أخشاه ..

سأتزوج بنفس الأسلوب ..

بنفس الوسيلة السخيفة ..

سأتبع نفس الخطأ ..

وبينما أبكى في حرارة ، سمعت طرقات هادئة

رقيقة على باب حجرتى ..

إنها طرقات أمى حتماً ..

ليس لأنها رقيقة ، ولكن لأن أبى لا يطرق الباب

أبداً ..

إنه يفتح الحجر بغتة ، دون أن يهتم بمن داخلها ،

أو بما يفعله ..

إنه يرى أن هذا حقه ..

أليس هو مالك كل شيء ؟ ..

أليس الوحيد الذى ينفق على المنزل ، وعلينا ؟!

هذا منطقته حتماً ..

المهم أنني عرفت أن صاحبة الطرقات هي أمي ،  
فأسرعت أمسح دموعي ، وأنا أنعمم :

- نعم يا أماه .

دفعت الباب في رفق ، ودلفت إلى حجرتي في  
صمت ، وبخطوات هادئة مترددة كعادتها ، وجلست  
على طرف فراشي ، وصمتت طويلاً ، قبل أن أنعمم أنا :

- ماذا هناك يا أماه ؟

كنت وكأنني قد افتتحت الحديث ، فقد قالت لي :  
في سرعة :

- سيأتون اليوم لخطبتك .

ولمّا لم أحر جواباً ، راحت تتطلع إلى عينيّ  
المحمرتين ، من شدة البكاء ، وقالت في ألم وتعاطف :

- ألا يسعدك ذلك ؟

هتفت في مرارة :

- وهل يُسعد الجارية أن وجدت مشترياً ؟

\*\*\*\*\* ٢٢ \*\*\*\*\*

مُخَيَّل إلى أن قلب أمي قد انفطر في مرارة ، وهي  
تقول :

- جارية ١؟ .. ومن قال إنك كذلك يا بنيتي  
العزيزة ؟ .. إنك فتاة مكرّمة معرّزة ، يأتي رجل  
ليخطبك ، مثلما ..

قاطعتها في حنق :

- مثلما حدث معك .. أليس كذلك ؟

قالت في حيرة :

- بلى .. ومثلما حدث مع العشرات ، والمشات  
غيري ، وغيرك .. إنها سنة الحياة يا بنيتي .

هتفت في غضب ، وأنا ألوّح بيدي في سخط :

- من قال إنها كذلك ؟ .. من قال إن سنة الحياة  
تقتضي أن يأتي رجل إلى هنا ، دون أن أعرفه ، أو  
حتى أراه ، فيستعرض جمالي وجاذبيتي ، ثم يقرر ما إذا  
كان يريدني أو لا ، دون أن أملك أنا نفس الحق ،  
في قبوله أو رفضه ؟ ! .. من قال هذا ؟

نعممت أمسي في قلق :

\*\*\*\*\* ٢٣ \*\*\*\*\*

- ولكنه شاب جيّد يا بنيتي .. إنه يمتلك مكتباً  
خاصّاً للمحاسبة ، ودخل لا بأس به ، وهو وسيم ،  
ومهدّب و.....

قاطعتها في غضب :

- كل هذا لا يعنيني .

ارتفع حاجبها ، واتسعت عينها في ذعر ،  
وتطلّعت إلى باب الحجرّة في خوف ، وكأنها تخشى أن  
يتسلل رفضي وغضبي إلى أبي ، فيقيم الدنيا ويقعدها ،  
ويتهمها بالفشل في تربيّتنا وتهذيبنا ، وينهال عليها باللوم  
والتقريع ..

والواقع أنني أيضاً خشيت ذلك ، حتى أنني  
خفّضت صوتي في شدة ، وأنا أستطرد في خفوت :  
- كل هذا يبدو لي أشبه بزهور تخفي فخاً .  
تطلعت إلى في إشفاق ، ثم اقتربت منّي ، وهمست  
في اهتمام :

- أهنك شخص آخر ؟

هتفت بها في استنكار :

- كلاً بالطبع .

ولم يكن هناك بالفعل أي شخص آخر في حياتي ..  
كنت أكره أن يكون فيها أي شخص ..  
أي رجل ..

كل الرجال كانوا في نظري صورة من أبي ..  
كلهم كانوا هو ..

كلهم كرهتهم ، قبل أن أتعامل مع أحدهم ..  
وفي مزيد من الحيرة ، نغممت أمي :

- لماذا ترفضين إذن ؟

هتفت ساخطة :

- لأنني أرفض الأسلوب نفسه .

قالت في دهشة :

- أي أسلوب ؟ .. إنه شاب يتقدّم للزواج منك ،

وهو مناسب كزوج ، ولم يحاول اللجوء معك إلى أية  
وسائل ملتوية ، فما الذي يمنع أن .....

قاطعتها في حدّة :

- عشرات الأسباب .

هتفت في حيرة :

- أخبريني بعضها يا بنيتي .. ربما أمكنتني أن....

قاطعتها هذه المرّة في تحدّ :

- أن ماذا ؟

خفضت عينيها في انكسار ، ونغممت ، وقد

أدركت ما أعنيه :

- أن أفهمك .

شعرت لحظتها بشفقة هائلة نحوها ، وبرغبة قوية

في أن ألقى نفسي بين ذراعيها ، وأنعم بدفء صدرها

الحنون ..

ولكنني لم أفعل ..

لست أدري في الواقع لماذا؟ ..

كنت أبدو كما لو أنني أرفض كل المقروض

فحسب ..

كانت طاقة العناد في داخلي كبير كان نأثر ..

وكنت أعلم أنني لن أجرؤ على مخالفة أبي ..

لن أجرؤ أبداً ..

وفي خفوت ، وبنبرة عنيدة ، سألت أمي :

- وما المقروض أن أفعله ؟

تطلّعت إليّ في حيرة ، وكأنني أسألها عن أمر

بديهي ، ونغممت :

- أن تستعدى لذلك .

قلت في حدّة :

- كيف ؟

أجابتنني بمزيد من الحيرة :

- بأن تزيّني ، وتتجمّلي و .....

قاطعتها في سخط :

- باختصار ، أن أغلف البضائع بورق أنيق لامع ،

حتى نروق للمشتري .

زفرت في مرارة ، وهي تقول :

- إنك تعقّدين الأمر يا بنيتي .. ألسنت مثل

شقيقاتك ؟

أجبتها في عناد :

- إنني أختلف .

قالت وهي تتحسّس شعري في حنان :  
- ولكنهن سعيدات في منازل الزوجية .

قلت في حنق :

- بل مستسلمات .

ثم استدرت إليها ، مستطردة :

- مثلما فعلت أنت .

أشاحت بعينها ، وهي تغمغم في ألم :

- هكذا النساء .

أحنقني جوابها ، الذي يحمل قدراً هائلاً من

الاستسلام ، فقلت في عناد وحزم :

- لن أفعل يا أمي ..

هتفت في جزع :

- لماذا يا بنيتي ؟

قلت في إصرار :

- لن أفعل ؛ لأنني أكره الغش .. لو أنه يرغب

في الزواج مني ، فليبرني كما أنا ، دون إضافات .

فتحت أمي فيها ، وكأنها تهم بقول شيء ما ، ثم لم

تلبث أن خفضت عينها ، وغمغمت في انكسار :

- كما يحلو لك يا بنيتي .

وابتسمت ابتسامة شاحبة ، قبل أن تستطرد :

- إنك جميلة كما أنت .

ثم انسحبت من حجرتي في بطء وهدوء ، وأغلقت

الباب خلفها في حذر ، وكأنها تخشى أن يعلم أبي أنها

قد قضت بعض الوقت معي ..

وتركتني وحدي ..

والحق يقال .. لقد شعرت نحوها بشفقة كبيرة ،

في تلك اللحظات ..

ثم اتجهت إلى مرآتي ..

أأنا حقاً جميلة ؟ ..

أأنا حقاً جذابة ؟ .. !

لم يعد هذا يهم ..

لست من سيقرّر ذلك ..

المشترى هو الذي سيقرّره ..

ما على الجارية إلا أن تقف أمامه مستسلمة ..

وصل المشتري في تمام الساعة مساءً ..

وصل مع والديه ..

لم أستقبلهم بنفسى بالطبع ، كما تقتضى قواعد  
والدى ، ولكننى سمعت صوت أبى وأمى ، وهما  
يستقبلانهم ..

وفى حجرتى ، انتابتنى رغبة قوية فى تجاهل ذلك

الخطيب ، وتعهد إذلاله ، إلا أننى - وبكل صراحة -

خشيت فى شدة ..

ولقد جلست فى حجرتى ، والغىظ يملأ نفسى ،

وأقاوم دموعى فى قوة ، حتى لا أنهار باكياً ، حتى

سمعت طرقات أمى على باب حجرتى ، ورأيتها تدلف

إليها باسمه الثغر ، متهلة الأسارير ، وفوجئت بها

تحتضننى ، وتهتف فى سعادة :

- مبارك يا بنيتى .. لقد قرأ والدك الفاتحة ، مع

هذه هى القواعد ..

ولكن لا ..

ستغيّر القواعد ، اعتباراً من هذه المرة ..

ما دام ذلك الزوج المنتظر قد وافق على ذلك

الأسلوب السخيف ، وقبل أن يتزوج هكذا ، دون

اعتبار لمقتضيات العصر ، وحضارة اليوم ، فليدفع

الثمن إذن ..

ومن أعماق أقسمت فى عناد :

- سيدفع الثمن .. سيدفع مدى الحياة ..

وبهذا وضعت أول لبنة فى صرح المأساة ..

\*\*\*



والد خطيبك ، ولقد طلب مني أن أدعوك لتقديم  
الشراب لهم .

اتسعت عيناى فى ذهول واستنكار ..  
قرأ الفاتحة ..

دون حتى أن أراه أو يرانى ..  
أى رجل هذا ؟

أى مستهتر هو ؟ ..

أهذا الحد بلغ بهم تجاهل نبل الزواج ؟! ..

أهذه الدرجة تجاهلوا رأى جميعاً ؟! ..

ولم أبك ..

لم أذرف دمعة واحدة ، على الرغم من استنكارى

لما حدث ، وكراهيتى له ..

كنت أتوقع ذلك ..

كنت أتوقع أى شيء ..

وفى آلية تامة ، أومأت برأسى إيجاباً ، وغادرت

حجرتى إلى المطبخ ، حيث وجدت أن أمى قد أعدت

\*\*\*\*\* ٣٢ \*\*\*\*\*

أكواب الشراب ، فحملتها فى استسلام ، واتجهت بها  
إلى حجرة الجلوس ..

ومن الواضح أن أمى قد أساءت فهم موقفى ،

فأطلقت زغرودة قوية ، وتهللت أساريرها فى فرح ..

ولم أكد أدلف إلى حجرة الجلوس ، حتى هبَّ

الخطيب واقفاً ، وهو يبتسم ابتسامة عريضة ، وأطل

الحنان من عيني أمه ، على حين راح والده يطيل النظر

إلى فى إمعان واهتمام ..

أنى وحده ظل جالساً ، جامد الملامح ، وكأنما

الأمور لا يعنيه ..

ولقد بدا لى ذلك الخطيب مألوفاً ، على الرغم من

أننى لم أذكر أبداً متى رأيته ، أو أين ..

ولقد مدَّ يده بصافحنى فى لطفة ، ثم لم يلبث أن

تنبه إلى أننى أحمل صينية أكواب الشراب ، فأعاد يده

إلى جواره ، وتخصَّب وجهه بحمرة خجل خفيفة ،

وهو يبتسم ، مغمغماً :

- ( وحيد صبحى ) .. بكالوريوس تجارة .

\*\*\*\*\* ٣٣ \*\*\*\*\*

( ٣ = زوجى - زهور )

نعمت في برود :

— تشرفنا .

تركته يتناول كوب الشراب ، واستدرت إلى

أمه ، التي هتفت في سعادة :

— مبارك يا بني .

أما والده ، فقد ابتسم في هدوء ، وهو يقول :

— مبارك .

وضعت الصينية فوق منضدة حجرة الجلوس ،

واتجهت نحو الباب ، ولكن أبي استوقفني ، وهو يقول

في صرامة :

— إلى أين ؟

نعمت دون أن ألتفت إليه :

— سأعود إلى حجرتي .

قال في صرامة وخشونة :

— اجلسي إلى جوار خطيبك .

أحنقني أسلوبه في التحدث إلى أمامهم ، إلا أنني

أطعته في استسلام ، واتجهت إلى الأريكة ، التي يجلس

\*\*\* ٣٤ \*\*\*

عليها ( وحيد ) ، وجلست صامتة ، على الطرف البعيد

منها ، وراحت والدته ( وحيد ) تتطلع إلىّ بابتسامة

حانية ، وسعادة واضحة طول الوقت ، على حين قال

والده لوالدي ، وكأنهما يتحدثان وحدهما ، في مكان

خال :

— اعتقد أنه لا ضرورة لتعقيد الإجراءات ،

وإطالتها يا ( حسين ) بك ، ف ( وحيد ) يمتلك شقة

أنيقة ، مؤثثة بأفخر الرياش ، وأحدث الأثاث ، وهو

مستعد لشراء الشبكة غداً ، وسيكون من الأفضل أن

نم الزفاف يوم الخميس القادم .

أجابه أبي في هدوء ، وقد اطمأن إلى أنه لن

يتحمّل أية مصروفات :

— على بركة الله .

أحنقني الأمر في شدة هذه المرّة ، حتى أنني لم

أستطع كبح جماح نفسي ، وأنا أندفع قائلة :

— ولماذا العجلة !؟

التفت إلى الجميع في دهشة ..

\*\*\* ٣٥ \*\*\*



والدى وحده عقد حاجبيه في دهشة واستنكار  
وصرامة وغضب ..

وحده جعلني أرتجف ، وأنكمش في مقعدى ،  
مثلاً تفعل أمى ، وأنا أنعمم في خوف وتخاذل :

– أعنى لم لا ننتظر حتى تظهر نتيجة الثانوية

العامية ؟

قال أبى في صوت صارم ، بدا لى أشبه بهدير  
شلال غاضب :

– وما الفارق ؟

ازددت انكماشاً في مقعدى ، وأنا أنعمم :

– لا فارق يا أبى .. لا فارق .

تجاهلنى تماماً ، بعد هذه النقطة ، وراح يناقش

حمای في تفاصيل الزواج ، والشبكة ، وكأنه يعاقبنى

على تدخلى في أمر يخصنى .

وفي أعماقى تولد غضب هائل ..

غضب من أسلوبه ..

من حياتنا ..

\*\*\* \*\* ٣٦ \*\*\* \*\*

من استسلامى ..

من خوفى ..

من نفسى ..

ودون أن تسقط من عيني دمعة واحدة ، بكيت ..

بكيت في أعماق قلبى بحرارة ..

بكيت حتى ناح نبض قلبى ، وبات أشبه بالأنين ..

لقد انتهى الأمر ..

لقد وقعت في الأسر ..

وبعد ستة أيام فحسب ، سيتم زفانى إلى رجل

أجهله ..

رجل ارتضى أسلوب العصر الحجري ، في

نهايات القرن العشرين ..

رجل ابتاعنى كجارية ، دون أن يبالي حتى بمعرفة

رأبى ، ومشاعرى تجاهه ..

سأعيد تاريخ أمى ..

سأكرّر مأساتها ..

وفجأة .. صرخ الغضب والعناد في أعماقى ..

\*\*\* \*\* ٣٧ \*\*\* \*\*

« يتشرف السيدان ، ( حسين عبده ) ، و ( صبحي صفوت ) ، بدعوة سيادتكم ؛ لحضور حفل زفاف كريمة الأول علي ابن الثاني » .

كان هذا هو نص الفقرة الأولى ، في دعوة زفافنا ..  
واليوم أنا زوجة ( وحيد ) ..  
زوجته ، ولست جاريتها ..

هذا ما قررته منذ أول أيام زفافنا ..  
قررت أن أحصل منه على كافة حقوقى ..  
على حرّيتى .. على كرامتى ..  
على كل ما فقدته أمى ..

وشاءت المصادفة أن تظهر نتيجة الثانوية العامة ،  
صباح زفافنا ، وجاء الأهل والأقربون يهنئوننى  
بالمناسبتين معاً ، فقد حصلت على الثانوية العامة  
بمجموع جيد ، يؤهلنى للالتحاق بأية كلية تروق لى ،  
بالنسبة لدراستى الأدبية ..

لن تتكرّر المأساة ..

لن يعيد التاريخ المهزلة ..

أنا أختلف عن أمى ..

عصرى يختلف عن عصرها ..

صحيح أنى أخشى أبى ..

أخشاه على نحو غريزى ، لا سبيل لمقاومته ، أو

هزيمته ..

ولكنى لا أخشى ذلك ، الذى سيكون زوجى ..

وسيدفع هو الثمن ..

سيدفع ثمن أخطاء كل الرجال ..

سيدفع ثمن عذابى ، وعذاب أمى ..

سيدفع الثمن ..

سيدفعه حتماً ..

\*\*\*

وكان أبى وأمى أول من جاء لتهنئتى ، مع والد  
( وحيد ) ووالدته ..

وكان ( وحيد ) سعيداً بحق ..

منذ تم زفافنا ، وهو يكاد يطير فرحاً ..

أما والدى ، فقد ظل متجهماً صارماً كعادته ،  
وهو يبلغنى بأمر نجاحى ، على حين انهالت أمى على  
وجهى بالقبلات ، وهتف ( وحيد ) فى مرح :

— يالها من مصادفة سعيدة !! ألف مبارك

يا ( سميحة ) .. يمكنك الآن الالتحاق بأية كلية .

فوجئت بأبى يقول فى صرامة واستخفاف :

— ما هذه السخافة؟! .. إنها لن تلتحق بأية

كلية بالطبع .. لقد صارت زوجة .

احتقن وجهى غضباً ، ولكنى لم أفه يحرف واحد ،

وظالمت صامته ، محنقة ، حتى انصرف الجميع ،

واقترب منى ( وحيد ) ، وهو يحمل على شفثيه ابتسامة

كبيرة ، ولهفة عارمة ، مغمماً :

— ألف مبارك يا ( سميحة ) .

انتفض جسدى فى توتر ، عندما وضع كفيه على  
كتفى ، واستدرت إليه فى حركة حادة ، أدهشته على  
نحو ملحوظ ، قبل أن أقول فى خشونة :

— اسمع يا ( وحيد ) .

تطلع إلى وجهى فى حيرة ، ونغمم :

— ماذا هناك يا ( سميحة ) ؟

قلت فى حدة :

— هل ستطيع أوامر أبى ؟

تفجرت فى وجهه دهشة حقيقية ، وهو يهتف :

— أوامر؟! ..

صحت فى غضب :

— نعم .. فليكن معلوماً لديك ، أننى سأتم تعليمى ،

وسألتحق بالكلية التى ترؤق لى ، وأننى لن أتنازل عن

هذا الحق أبداً ، مهما حاولت ، ومهما فعلت .

ابتسم فى حيرة ، وهو يقول :

— ومن قال إننى سأفعل شيئاً؟! .. هذا حقك .

واصلت حديثى الغاضب ، قائلة :

- وسيغني هذا أنني سأوزع جهودى بينك وبين  
دراستى ، ولن أحتمل أن يأتى يوم ، تهمنى فيه  
بالتقصير أو .....

قاطعنى فى هدوء :

- لن أفعل .. اطمئنى .

أثار استسلامه حيرتى ، وتصوّرتها محاولة معقدة  
للسيطرة علىّ ، وعلى مشاعرى ، أو أنها مجرد مجاملة  
تقليدية ، من عريس إلى عروسه ، فى أول أيام زفافهما ،  
وراودتنى رغبة قوية فى إيلامه ، فقلت فى صرامة  
- ولن ننجب ، حتى أنتهى من دراستى .

حدّقت فى وجهى بدهشة حقيقية هذه المرّة ، وبدا  
واضحاً أن ذلك المطلب الأخير قد أثار ضيقه بحقّ ،  
فهو لم ينبس ببنت شفة ، طيلة خمس دقائق كاملة ،  
قضاها كلها يتطلع إلى وجهى فى حيرة ، قبل أن  
ينفض من مقعده ، ويسير فى أرجاء الرّدهة بعض  
الوقت ، عاقداً كفيه خلف ظهره ، ثم يلتفت إلىّ ،  
ويسألنى فى لهجة بالغة الجدية :

- أدرست ذلك المطلب الأخير جيّداً ؟  
أجبتّه فى عناد :

- أجل .. وأصرّ عليه أشد الإصرار .  
مط شفّتيه فى ضيق ، وهو يقول :

- سيغنى هذا أن ننتظر أربع سنوات على الأقل .  
قلت فى حدّة :

- ولم لا ؟! : أتشارك أبى رأيه ، فى عدم جدوى  
استكمال تعليمى .

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :  
- إلى حدّ ما .

استفزتنى عبارته فى شدة ، على الرغم من أنه قد  
نطقها فى لهجة مهذبة للغاية ، فهتفت فى غضب :

- فلتعلم إذن أن رأيكما هذا لا يعنينى فى كثير أو  
قليل ، وأننى سأكمل تعليمى ، سواء رضيتما أم أبيتما ،  
وأننى .....

استوقفنى بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :  
- كفى .

- وسيغني هذا أنني سأوزع جهودى بينك وبين  
دراستى ، ولن أحتمل أن يأتى يوم ، تهمنى فيه  
بالتقصير أو .....

قاطعنى فى هدوء :

- لن أفعل .. اطمئنى .

أثار استسلامه حيرتى ، وتصوّرتها محاولة معقدة  
للسيطرة علىّ ، وعلى مشاعرى ، أو أنها مجرد مجاملة  
تقليدية ، من عريس إلى عروسه ، فى أول أيام زفافهما ،  
وراودتنى رغبة قوية فى إيلامه ، فقلت فى صرامة  
- ولن ننجب ، حتى أنتهى من دراستى .

حدّقت فى وجهى بدهشة حقيقية هذه المرّة ، وبدا  
واضحاً أن ذلك المطلب الأخير قد أثار ضيقه بحقّ ،  
فهو لم ينبس ببنت شفة ، طيلة خمس دقائق كاملة ،  
قضاها كلها يتطلع إلى وجهى فى حيرة ، قبل أن  
ينفض من مقعده ، ويسير فى أرجاء الرّدهة بعض  
الوقت ، عاقداً كفيه خلف ظهره ، ثم يلتفت إلىّ ،  
ويسألنى فى لهجة بالغة الجدية :

- أدرست ذلك المطلب الأخير جيّداً ؟  
أجبتّه فى عناد :

- أجل .. وأصرّ عليه أشد الإصرار .  
مط شفّتيه فى ضيق ، وهو يقول :

- سيغنى هذا أن ننتظر أربع سنوات على الأقل .  
قلت فى حدّة :

- ولم لا ؟! : أتشارك أبى رأيه ، فى عدم جدوى  
استكمال تعليمى .

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :  
- إلى حدّ ما .

استفزتنى عبارته فى شدة ، على الرغم من أنه قد  
نطقها فى لهجة مهذبة للغاية ، فهتفت فى غضب :

- فلتعلم إذن أن رأيكما هذا لا يعنينى فى كثير أو  
قليل ، وأننى سأكمل تعليمى ، سواء رضيتما أم أبيتما ،  
وأننى .....

استوقفنى بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :  
- كفى .

ثم عقد حاجبيه في ضيق ، مستطرداً :  
- لقد أدركت وجهه نظرك .

قلت في حدة :

- هذا أيضاً لا يعنيني .

ظهر الغضب على وجهه واضحاً ، وخیّل إلى لحظة أنه سينفجر غاضباً ، كما كان يفعل أبى ، إلا أنه لم يلبث أن سيطر على مشاعره ، وزفر في قوة ، وهو يقول :

- حسناً يا ( سميحة ) .. فليكن .. لن يروق لي هذا أبداً ..

أن أجبرك على العكس .

واتجه نحو حجرتنا ، ثم توقف لحظة متردداً ،

والتفت إلى ، مستطرداً في حزم عجيب :

- سنوَجِّل الإنجاب لأربع سنوات .. أربع

سنوات فقط .

واختنى داخل الحجرة ، وأغلق بابها خلفه في

عنف ..

وبرقت عيناي في زهو وظفر ..

\*\*\*\*\* ٤٤ \*\*\*\*\*

وارتسمت على شفتي ابتسامة ضخمة ..

لقد انتصرت في هذه الجولة ..

لقد أجبرت زوجي على الخضوع لرأبي ..

لقد حققت ما عجزت عنه أمى ..

اليوم لن يعيد التاريخ نفسه ..

حتماً لن يفعل ..

لقد وضعت اليوم اللبنة الأولى في طريق التحرر ..

التحرر من عبودية المرأة للرجل ..

لم أعد جارية ..

لقد صرت سيّدة ..

ولن أتنازل عن موقعي الجديد هذا أبداً ..

أبداً ..

أبداً ..

أبداً ..

\*\*\*

\*\*\*\*\* ٤٥ \*\*\*\*\*

كان من الواضح أنني قد ربحت الجولة الأولى ،  
بكل المقاييس ..

لقد اعتبر ( وحيد ) رأي قضية مسلماً بها ، حتى  
أنه هو الذي تسلّم أوراقى من المدرسة الثانوية ، وهو  
الذى قدّمها إلى مكتب التنسيق ، بعد أن ملأها أنا  
برغباتى ، دون أن أسمح له حتى بإيداء الرأى فيها ..

ولأول مرّة فى حياتى ، تنسّمت رحيق الحرية ..  
وصدّقونى .. إنه يبعث النشوة فى النفوس ..

يبعث نشوة عارمة ، تتدنّى أمامها كل المشاعر  
والأحاسيس ..

ولقد غرقت فى تلك النشوة حتى أذنى ..  
كنت أتشوّق لها طيلة عمرى ..  
أتلهف عليها ..

ولقد قرّرت أن أحافظ على تلك النشوة ، مهما  
كلفنى ذلك ..

قرّرت أن أبذل حياتى من أجلها ..  
وفى الليلة التى تلقيت فيها بطاقة الترشيح ، التى  
تبلغنى بقبول أوراقى فى كلية الآداب ، ابتسم ( وحيد )  
ابتسامة باهتة ، وربت على كتفى قائلاً :  
- مبارك .

غمغمت بعبارة مبهمّة ، وأنا أشعر بسعادة بالغة ،  
وأطلع إليه فى تشف وظفر ..

لقد تصوّرت طيلة عمرى ، أن السبب الرئيسى  
فى سيطرة أبى على أمى ، وإذلاله لها ، هو أنه يتفوّق  
عليها فى كل شىء ..

هو جامعى ، وهى لم تتم حتى دراستها الثانوية ..  
هو يعمل ، وهى لا ..

هو ينفق عليها وعلينا ..  
هو صاحب كل وسائل القوة والسيطرة ..

ولقد قرّرت ألا أمنح زوجى تلك الوسائل ..  
قرّرت أن أنتزعها منه كلها ..

سأتم دراستى الجامعية ، بل وسأفوقه علماً ..  
\*\*\*\*\* ٤٧ \*\*\*\*\*

باستكمال تعليمها، ألا تعلم أن هذا سينزع منك بعض حقوقك؟

ابتسم (وحيد) تلك الابتسامة الباهتة، وهو يغمغم:  
— لا بأس من أن أحتمل بعض الشيء يا عمه .

ثم التفت إلى، مستطرداً:  
— من أجل (سميحة).

جعلتني عبارته أشعر بالزهو، على حين ابتسمت  
أُمي له في حنان، وكأنها تعلن له عن امتنانها، وعاد  
أبي يطمئنته، قائلاً في استهجان:

يا لرجال اليوم!

ثم مال نحو (وحيد)، مستطرداً في حدة:

— أتريد رأبي الحقيقي فيكم، يا رجال اليوم..  
وبكل صراحة؟

لم يبنس (وحيد) ببنت شفة، على حين لاحظت  
أنا أن الدماء تتصاعد إلى وجنتيه في بظء، ووالدي  
يستطرد، دون أن ينتظر جواباً، وبخشونته وغلظته  
وغطرسته المعهودة:

وسأعمل مثله، ويكون لي مالي الخاص..  
سأصبح ندياً له..

بل سأسعى جاهدة للتفوق عليه..  
سأهزمه في كل مجال..

وفي تلك الليلة خيّل إلى أن خوفه من ذلك، هو  
سراً ابتسامته الباهتة، وأسعدني ذلك للغاية..

لقد أصبحت أنا مبعث خوف لرجل..

ولقد أعاد لي هذا جزءاً كبيراً في ثقتي بنفسى،  
وحطّم الكثير من خوفي الغريزي من الرجال..  
فيما عدا والدي..

ما زلت أخشاه وأبغضه إلى أقصى حد..

وفي نفس الليلة، أتى أبي وأمى لزيارتنا..  
وما زال أبي متعجباً فقطاً..

وما زالت أمى منكشمة مستسلمة.. مستكينّة..

وعندما علم والدي بالأمر، مط شفتيه في ازدراء،  
وهو يقول لـ (وحيد):

— يالك من رجل!!.. كيف تسمح لزوجتك



رفع والذى أحد حاجبيه ، وكأنما راق له  
استسلامها وخوفها ، وعاد يلوح بذراعه ، قائلاً :  
- ولكن هذا شأنك .

غمغم ( وحيد ) ، وقد احتقن وجهه فى شدة :  
- هذا صحيح يا عمه .

لم أتدخل فى الحوار لحظة واحدة ..  
فقط جلست هادئة مبتسمة ..

كان ما يحدث دليلاً على أننى أسير قدماً ، فى  
طريق الحرية ..

لقد كان ( وحيد ) يبرر أمراً يرفضه ..  
من أجل ..

وعندما انصرف أبى وأمى ، بدا ( وحيد ) متجهماً ،  
حزيناً ، إلا أننى قد تعمّدت تجاهل ذلك تماماً ، حتى  
وأنا أسأله فى برود :

- أتحب تناول طعام العشاء الآن ؟

هز رأسه نفيًا ، وهو يغمغم فى صوت حزين :  
- كلاً .. ليس الآن .

- رأبى أنكم تفتقرون إلى الخشونة الحقيقية ..  
وبكل صراحة .. إنكم لم تعودوا بمثل رجولة جيلنا .

احتقن وجه ( وحيد ) ، وهو يغمغم :

- ليس إلى هذا الحد يا عمه .

لوح والذى بذراعه ، وهو يهتف :

- بل أكثر من ذلك .. كيف تستسلم لرغبات

زوجتك إلى هذا الحد .. لقد كان من المستحيل أن  
يحدث هذا فى زمنى أنا .

غمغم ( وحيد ) فى توتر :

- الزمن يختلف يا عمه .

هتف والذى فى انفعال :

- بالطبع .

ثم أدار عينيه إلى أمى بنظرة صارمة ، وكأنما يؤكّد  
لـ ( وحيد ) صدق قوله ، ومن العجيب أن والدتى قد  
انكشفت فى مقعدها ، وشحبت فى شدة ، على الرغم  
من أنها لم ترتكب ذنباً ، وراحت تغمغم فى ارتياح :

- بالطبع .. بالطبع .

قلت في برود :

- لا بأس .. هذا شأنك .

ثم اتجهت إلى حجرة النوم في هدوء ، فهتف بي :

- إلى أين ؟

قلت دون أن ألتفت إليه :

- سأنام .. فقد قرّرت أن أذهب لدفع مصاريف

بدء الدراسة غداً .

قال في لهجة خافتة :

- ولم العجلة ؟

قلت في برود :

- إنني أفضل إنهاء الأمور في سرعة .

تهدي في بأس واضح ، ونغمغم :

- لا بأس .. لا بأس ..

لم أنم ..

صحيح أنني أويت إلى الفراش ، ولكنني لم أنم ..

كانت نشوة الحرية توقظني ..

وكانت سعادة الالتحاق بالجامعة تؤرقني ..

\*\*\*\*\* ٥٢ \*\*\*\*\*

liilas.com

كنت الوحيدة وسط شقيقاتي ، التي ستلتحق بالكلية .

كنت الوحيدة التي تحرّرت ..

أما (وحيد) ، فقد ظل يقظاً ، يقطع ردهة المنزل جيئة

وذهاباً ، حتى هزم النوم أجفاني ، فاستسلمت له تماماً ..

وعندما استيقظت في الصباح التالي لم أجده ..

كان قد انصرف إلى عمله ، وترك لي مبلغاً كافياً

من المال ، لدفع المصروفات ..

وبلغت سعادتني ذروتها ، وأنا أرتدى ثيابي ،

للذهاب إلى الكلية لأول مرة ..

كان المناخ الجامعي كله يبهرنني ، ويشدني إليه في لطفة ..

كنت أتلهف حقاً للاندماج فيه ..

وفي حرص ، رحت أرتدى ثياباً بسيطة ، تشف

عن حقيقة عمري ، وعن سنواتي الثمان عشرة ..

حتى شعري ، صففته على نحو طفولي ، وتركت

من خلف رأسي خصلة طويلة ، أشبه بذيل الحصان ،

وتركت وجهي كله بلا زينة ..

كنت أريد أن أشعر أنني فتاة عادية ..

\*\*\*\*\* ٥٣ \*\*\*\*\*

كانت الحياة الجامعية عالماً جديداً بحق ..  
لقد بدت ساحة الكلية كمعسكر ضخم ، امتلأ  
بالحيوية والبهجة والنشاط ، وتراصت فيه مجموعات  
من الطلاب ، تسترجع ذكريات العام الدراسي السابق ،  
وتتعارف في بداية عام جامعي جديد ..

وبسرعة ، اندمجت مع مجموعة صغيرة ، تتكوّن من  
اثنين من زميلات الدراسة الثانوية ، وشقيق إحداهما ،  
وأنا أصفاح الجميع :

- صباح الخير يا ( كوثر ) .. صباح الخير  
يا ( نوال ) .. كيف حال الجامعة ؟

ضحكت ( نوال ) ، وهي تقول :

- إنها تصيبني بالرعب .

ثم أشارت إلى الشاب الواقف إلى جوارها ،  
مستطردة :

- شقيقي ( سامح ) .

فتاة مثل كل زميلاتي ..

وكنت أشعر - لسبب ما - بالحجل من كوني زوجة ..

كنت أشعر وكأن هذا يقفز بعمرى إلى الضعف ..

وعندما انتهيت ، وقفت أتطلع إلى وجهى

وملابسى في المرآة ، وأسعدنى أنى أبدو كطالبة

صغيرة ، تخطو نحو عالمها الجامعي في حذر ..

وفجأة .. خامرتني رغبة عجيبة شاذة ..

رغبة قاومتها بعض الوقت في تخاذل ، ثم لم ألبث

أن استسلمت لها في اقتناع ..

لقد خلعت من إصبعي ( دبلة ) الزواج ، وأخفيتها

في حقيبتى ..

ولم أكذ أفعل ، حتى شعرت وكأننى قد تحررت حقاً .

وبكل الفرح والسعادة ، اتجهت إلى الكلية ..

ودفعت مصاريف بدء الدراسة ..

وشعرت بعدها بنشوة عارمة ..

نشوة المضى في طريق الحرية ..

\*\*\*

أومأت له برأسي ، فغمغم مبتسماً :

— تشرّفنا ..

وسرعان ما انتقل بنا الحديث إلى موضوعات عامة  
متنوّعة ، واندمجنا معاً ، وشعرت أنني قد صنعت  
مجتمعي الجديد ..

ذلك المجتمع الذي رافقني طيلة أربع سنوات  
الدراسة ..

ومنذ بداية العام الدراسي ، كان من الضروري  
أن أضع برنامجاً يومياً جديداً لحياتي الزوجية ..  
وبكل صراحة ، كان عليّ أن أنتزع نفسي كثيراً  
من حياتي الزوجية ..

كنت وكأنني أحاول أن أنسى أنني زوجة ..  
لقد رفضت وبإصرار أن يوصلني (وحيد)  
بسيارته إلى الكلية ، وعلى الرغم من استنكاره ، كنت  
أذهب إليها بالحافلة العامة ، مثل معظم طالبات دفعتي ..  
وكان هذا يسعدني للغاية ..

كان يُشعرنني أنني فتاة صغيرة ..

بنت رقيقة ..

طالبة جامعية عادية ..

وفي الكلية اندمجت في عشرات النشاطات ،  
وأصبحت عضواً عاملاً ، في معظم الجمعيات واللجان ..  
وفي جمعية الفنون ، ونادي الثقافة ، وعشيرة الجوّالة ،  
واللجنة الاجتماعية وغيرها ..

ولم يلبث اسمي أن صار مرادفاً لمختلف أنواع النشاطات  
والفوز بمنصب أمين اللجنة الاجتماعية بنجاح ساحق ..  
وفي تلك الفترة من حياتي ، كدت أصاب بانفصام  
شخصية حقيقي ..

كنت في الكلية (سميحة) أخرى ، لا تشبه من  
قريب أو بعيد (سميحة) الزوجة ..

وأعترف الآن أنني قد أهملت منزلي وزوجي حقاً ..  
كنت أذهب إلى الكلية في الصباح ، قبل أن

يستيقظ ( وحيد ) من النوم ، وأكثني بتناول شطيرتين  
في ( كافيتيريا ) الكاوية ، مع أصدقائي و صديقاتي ،  
وأعود من الكلية بعد موعد الغداء ، عندما يكون  
( وحيد ) قد تناول غداءه ، واستعد للعودة إلى مكتبه .

وفي المساء كان يعود ليجدني منهمكة في استذكار  
دروسي ، أو في إعداد وتنظيم برنامج طلابي جديد ..

ولقد كان ( وحيد ) يبدو ضجراً ملولاً بحق ،

خاصة عندما كنت أتجاهل كل حقوقه لفترة طويلة من  
الزمن ، وكنت أنا في كثير من الأحيان أتعمد تجاهل  
ذلك ، وكأنني أنتقم منه ، وأؤكد لنفسى أنني لست  
مثل أمى ، التي أفنت عمرها في خدمة والدي ، ثم لم  
تنل منه حتى كلمة ثناء ..

ومن العجيب أن ( وحيد ) لم يشك يوماً ، ولم  
يعترض

لقد اعتاد ، في كثير من الأحيان ، تناول طعام  
الإفطار والغداء في الخارج ، وقلما يتناول طعام العشاء ،

وحتى هذا الأخير ، كنت أتركه يعده لنفسه بنفسه ..

وكان هذا الأسلوب يسعدني ..

كان يمنحني شعوراً بالحرية ..

أو أنني قد استرحت له ، لما يحمله من تجاهل  
لمسئولياتي تجاه ذلك الرجل ، الذي أصبح زوجي ..

وذات يوم ، سألتني زميلتي ( نوال ) ، ونحن نعد  
مشروعاً طلابياً اجتماعياً جديداً :

– أخبريني يا ( سميحة ) ، ألا يغضب زوجك ،  
من أنهما كك الشديد في اتحاد الطلاب ؟. إنك تمنحنا  
وقتاً ، يفوق ما يمكن أن تمنحنا إيساه فتاة عادية .

قلت في استنكار :

– وما شأنه هو ؟.. إنها حياتي .

أجابتنى في دهشة :

– وهو زوجك .

قلت في حدة :

— هذا لا يمنحه حقّ التّحكّم في حياتي .

نعمت في قلق :

— ولكنه يمنحه حق الحصول على جزء من هذه

الحياة ..

أشرت إلى صدري ، قائلة في حِدّة :

— بإرادتي فقط .

هزّت رأسها نفيّاً ، وهي تقول في خفوت :

— بل على الرغم منها يا (سميحة) .

التفتت إليها في استنكار واستهجان ، وهتفت في

غضب :

— ماذا تقولين يا ( نوال ) ؟

ابتسمت ، وهي تقول في هدوء :

— إنه ليس قولي يا ( سميحة ) .. إنه قول الشرائع

السماوية ، والقوانين الدنيوية .

صحت في غضب :

— أية شرائع ؟ . وأية قوانين ؟ .. أتقصدن تلك

التي سمحت لأبي بإذلال أمي طيلة عمرها ؟ .. أم تلك

التي حطمتها قبل الأوان ؟ .. ألم تشاهدي أبي وأمي منذ

زمن طويل ؟ .. إن أبي يبدو وكأن عمره لم يزد طويلاً ،

أما أمي ، فهي تبدو عجوزاً ، شاب شعرها ، وتغضن

وجهها ، على الرغم من أن أبي يفوقها سنّاً بعشرين عاماً

أتعلمين لماذا ؟ .. بسبب هذه الشرائع ، وتلك القوانين .

هتفت ( نوال ) في جزع :

ربّاه !! إنك تلقين بنفسك في هوة مخيفة

يا ( سميحة ) .. إن حديثك كله عبارة عن مغالطات

رهيبة .. الشرائع والقوانين ليست المسئولة عما حدثت

لأمك .. فكما أعطت للرجل حق السيطرة ، وطلبت من

المرأة طاعته ، أجبرته أيضاً على حسن معاشرتها

ومعاملتها ، وعلى الإنفاق عليها عن سعة .. ولقد أمرت

كل الشرائع بحسن رعاية النساء ، واستوصت بهن

خيراً ، والخطأ في حالة والدتك يعود إلى عدم طاعة

والدك للشرائع السماوية .. هنا فقط يكمن الخطأ .. في

أنانية الرجل ، التي تدفعه إلى اختيار ما يروق من تلك الشرائع ، والتمسك به ، في نفس الوقت الذي يتجاهل فيه بقية الشرائع ، التي تحوى واجباته نحو زوجته ، فالشرائع السماوية كعناصر الهواء الذي نتنفسه ، إما أن نأخذها كلها مجتمعة ، أو نختنق .. لا يمكننا انتقاء ما يروقنا منها فحسب ، دون أن يصاب جسدنا بأمراض شتى .

قلت في غضب :

— هُراء .. لقد دفعت أُمى ثمن تلك الفلسفة يا ابن آدم العميقة من دمها .

أجابتنى في إشفاق :

— كان السبب هو نحن ، لا الشرائع السماوية .. حذار يا (سميحة) .. حذار أن تدفعك رغبتك في الانتقام إلى الكفر .

هتفت مستنكرة :

— انتقام؟! .. ومن تحدّث عن الانتقام؟

\*\*\*\*\* ٦٢ \*\*\*\*\*

قالت مشفقة :

— أساوبك مع زوجك ، وحديثك عنه .. كلها عبارة عن انتقام خَافٍ ، لم يذكره لسانك ، وإن شفّت عنه كل خلية من خلاياك ..

قلت وقد غلبتني كراهيتي :

— لا بدّ أن يدفع رجل ما الثمن .

قالت في ألم :

— ولماذا زوجك يا (سميحة) ؟

صحت غاضبة :

— لأنه أمامي .. هو الوحيد الذي يمكنني معاقبته .

تطلّعت إلىّ في حزن ، وقالت في مرارة :

— حذار يا (سميحة) .. حذار أن تحطمي حياتك

كلها ، في سبيل رغبة لا مبرّر لها في الانتقام .

قلت في حدّة وعناد :

— إنها حياتي أنا .

أومأت برأسها موافقة ، وهي تغمغم في حزن :

— بالطبع يا (سميحة) .. إنها حياتك أنت .

\*\*\*\*\* ٦٣ \*\*\*\*\*

## ٨ - الخيانة ..

كان اسمه ( علاء ) .. ( علاء فهمي ) ..

طالب بالسنة النهائية ( الليسانس ) ..

ولقد بدأ تعارفنا على نحو عجيب ..

كنت أستعد لبدء المشروع السنوي ، لرعاية

الطلاب المعوزين اجتماعيًا ، عندما فوجئت بشاب فارح

الطول ، وسيم الملامح ، يقتحم حجرة اللجنة الاجتماعية ،  
وهو يقول في حدة :

من المسئول عن ذلك المشروع السخيف ؟

أغضبني أسلوبه ، وأحنقتني لهجته ، فقلت في غضب :

— أنا المسئولة عن المشروع ، ولست أسمع لأي

كائن من كان بأن يسخف عملاً أف .....

قاطعني في حدة :

— من علمك فن الإدارة ؟ .. من علمك التعامل

مع الجماهير ؟ .. إنك تقيمين مشروعاً لرعاية الطلاب

المعوزين ، وتحيطين ذلك بضجة كبرى ، وكأنك

تبغين من خلفه الدعاية ، لا الفائدة لهم .

\*\*\*\*\* ٦٥ \*\*\*\*\*

( ه = زوجي - زهور )

ثم استطردت في خفوت :

— ولكن حذار .. حذار أن يقودك ذلك الطريق

الشائك إلى الخيانة ..

صحت في غضب :

— الخيانة ؟ ! .. أي هراء هذا ؟

وعلى الرغم من استنكاري الشديد لذلك ، إلا أنها

كانت على حق ..

لقد انزلت دون أن أدري ..

انزلت إلى بئر الخيانة ..

خيانة زوجي ..

\*\*\*



\*\*\*\*\* ٦٤ \*\*\*\*\*



قلت في تحدي :

- ولم لا ؟.. أليست الدعاية جزءاً في أي عمل ؟

قال في صرامة :

- إلا هذا .

كان يتحدث في مزيج من الحدة والغضب .  
والصرامة والحزام ، مما استثار مشاعري ، فعقدت  
ساعدي أمام وسطى ، وأنا أقول في برود :

- ولم لا أيها المتحدث ؟

لوح بذراعه في غضب ، وهو يقول :  
- هناك عشرات الأسباب .. أولها أن هؤلاء

الطلاب المعوزين لم كرامتهم ، وحياتهم ، وسيمنعهم  
هذا من أن يعلنوا فقرهم ، وسط ذلك المهرجان ، الذي  
تقييمينه ، خاصة وأنت تطالبينهم بتقديم أسمائهم  
لزملاء لهم ، قد لا يعلمون حتى الآن أن هؤلاء المساكين  
يحتاجون إلى معونة مادية ، وبأسلوبك هذا تحرمينهم  
حقهم في الحصول على المساعدة ، للحفاظ على ماء  
وجوههم .

\*\*\*\*\* 66 \*\*\*\*\*

كان علي حق تماماً في تلك النقطة ، حتى أنني  
شعرت ببعض الخجل في أعماقي ، وأرغيت ساعدي  
على نحو غريزي ، وأنا أنعمم :

- أنت علي حق .

استطرد ، دون أن يبدو عليه أي شعور بالظفر ،  
لموافقتي على رأيه :

- وثانياً أنك تنفقين أموال اللجنة ، التي هي  
أموال الكلية والدولة ، في صنع لافتات دعائية ، علي  
جين بنيني أن يستفيد الطالبة وخدمهم بذلك .  
أومات برأسي في خجل مغممة :

- صدقت .

وأيضاً لم يبد عليه أي شعور بالظفر ، وهو يتابع  
في حزم :

- هذا رأي .

وقبل أن أنبس بينت شفة ، كان قد استدار ،  
وغادر الحجرة في عصبية واضحة ، جعلتني أهتف :

- من هذا الفتى ؟

\*\*\*\*\* 67 \*\*\*\*\*

أجابتنى ( نوال ) ضاحكة :

- إنه ( علاء ) .. ( علاء فهمى ) .. من حزب

المعارضة فى الكلية .

سألها فى فضول :

- أهو شيوعى ؟

ضحكت قائلة :

- بل رأسمالى ، ومن كبار الرأسماليين أيضاً .

سألها ، وقد تملكنى الشغف :

- كيف يا ( نوال ) ؟

لاحظت فضولى الشديد ، فاعتدلت ، وهى تقول

فى جدية :

- ( علاء فهمى ) ابن ( فهمى مختار ) ملك

المقاولات المعروف ، ولكنه شخصية اجتماعية للغاية ،

ويميل إلى الدفاع عن الفقراء والمعوزين ، ولعل غضبته

هذه تعود إلى روح الخير الشديدة فى أعماقه .

أدهشنى أن توجد شخصية كهذه فى عصرنا ،

فغمغمت فى اهتمام :

- هكذا .

ثم استطردت فى صرامة :

- ولكنه على حق ، فلنرفع تلك اللافتات

الدعائية ، وسنكتفى بلوحة واحدة أنيقة ، على باب

حجرتنا ، وسيقوم موظفو رعاية الشباب بتسجيل

الأسماء وجمع البيانات .. إنه على حق تماماً .

لاحظت فجأة أنها تتطلع إلى فى دهشة وحييرة ،

فسألها فى دهشة مماثلة :

ماذا بك ؟

ظلت صامتة ، تتطلع إلى وجهى لحظات ، ثم

غمغمت فى حييرة :

- بل ماذا بك أنت ؟

هتفت فى دهشة :

- أنا؟! .. وماذا اختلف فى ؟

قالت فى لهجة أقرب إلى القلق :

- إنها أول مرة تؤيدون فيها رجلاً .

أدهشنى قولها ، وغمغمت :

ألأنه أول شاب يجادلني فيها أقول ، بكل ثقة  
وحزم ؟ ..

إلى الآن لست أدري لماذا ، ولكنني واثقة من  
أنني قد اهتمت كثيراً ، في تلك الآونة ، بشخصية  
( علاء فهمي ) هذا ..

والدليل هو أنني قد نفذت كل ما أشار به ..  
وفي صباح اليوم التالي ، كنت أجلس في حجرة  
اللجنة ، عندما فوجئت بـ ( علاء ) أمامي ، يتأملني في  
صمت ، وبعينين نادمتين ، فقلت في دهشة وتوتر :  
صباح الخير يا أستاذ ( علاء ) .. أهناك  
ما يمكنني أن .....

قاطعني بغتة :

— أنا أعتذر .

خُيِّل إلى أنني قد أسأت الفهم ، وأنا أنعمم :  
— ماذا ؟

قال في حدة :

— قلت إنني أعتذر .

— أحقاً ؟ ..

صمت لحظة ، أتفكر فيما قالته ، وشعرت بصورة  
( علاء ) ، ووجهه الوسيم يملآن عقلي ، فغمغمت :  
— ربما لأنه يختلف .

هتفت ( نوال ) في قلق :

— حذار يا ( سميحة ) .

صحت بها في صرامة :

— حذار أنت يا ( نوال ) .. إنك تتحدثين كما

لو كنت امرأة خائنة بطبعي ، تنتظر الرجل المناسب  
فحسب .. قلت لك إنه مجرد زميل .

ومرأة أخرى طافت صورته برأسي ، وأنا أستطرد :

— وهذا لا يمنع من أنه يختلف .

لست أدري لماذا سيطر هذا الشعور على كياني

تماماً ، وأسر مشاعري على هذا النحو ؟ ..

لماذا كنت أرى دوماً أن ( علاء ) يختلف ؟ ..

ألأنه أول رجل يهزمني بالحجة ، لا بالقوة ؟ ..

تطلعت إلى ملامحه الوسيمة لحظة ، ثم وجدت  
نفسى أبتسم ، وأنا أنعمم :

– لا بأس .. لقد كنت على حق .

قال في عصبية :

– لست أعتذر ؛ لأننى لم أكن على حق ، ولكن

للأسلوب الذى نقلت به رأى .

لست أدرى لِمَ لمْ يغضبني أسلوبه ؟.

لم لم يحقني ؟..

بل على العكس ، لقد بدا لى طريفاً ، وأنا أضحك

قائلة :

– حسناً يا (علاء) .. لن يجعلنا هذا نختلف .

ارتسمت على شفثيه ابتسامة عذبة ، وهو يغمغم :

– بلا شك .

تردد لحظة ، بعد هذا القول ، فأشرت إلى المقعد

المواجه إلى ، قائلة فى هدوء :

– يمكنك أن تجلس .

قال فى حياء :

– ألن يضايقك ذلك يا آنسة ...؟

صمتت ، وانتظر ، على نحو يوحى بأنه ينتظر معرفة

اسمى ، على حين دفعت مخاطبته لى بلقب (آنسة) الدماء

إلى وجهى خجلاً ، وأنا أنعمم :

– (سميحة) .. اسمى (سميحة) .

عادت ابتسامته تملأ وجهه ، وهو يغمغم :

– تشرّفنا يا آنسة (سميحة) .

مرّة أخرى أخجلنى أله يخاطبني بلقب (آنسة) ،

ووجدت نفسى أخفى أصبعى بكفى بحركة غريزية ،

حضرت إلى الكلية ، وارتداءها بعد عودتى ، ونمغمت :

– أمازلت غاضباً ؟

ضحك فى خجل ، وهو يقول :

– ليس بعد .

وتردد لحظة ، ثم أضاف :

– كنت أنشد الكمال فحسب .

قلت فى حماس :

\*\*\*\*\* ٧٣ \*\*\*\*\*

(١ = زوجى - زهور)

\*\*\*\*\* ٧٢ \*\*\*\*\*

liilas.com

- إنه هدفنا جميعاً .

تردد لحظة أخرى ، ثم قال :

- أعتقد أنني أدين لكم بترضية خاصة .

ضحكت ، وأنا أقول :

- ليس فيما يخصني شخصياً .

قال في حزم :

- ربما ، ولكن فيما يخص لجنتك .

وفي هدوء ، أخرج من جيبه رزمة من الأوراق

المالية ، وضعها أمامي ، فقلت في دهشة :

- ما هذا ؟

أجابني في ارتباك :

- ألف جنيه .. تبرع لمشروع رعاية المعوزين .

قلت في دهشة :

- ولماذا تدفعه لي أنا ؟

ازداد ارتبائك ، وهو يغمغم في تلعم :

- ألسنت .. ألسنت المسئولة عن .....

قاطعته ضاحكة :

\*\*\*\*\* ٧٤ \*\*\*\*\*

- بلى .. ولكن هذا لا يشمل جمع التبرعات ..

رعاية الشباب هي المسئولة .

توقفت لحظة ، ثم أردفت في مرح :

- بحسب رأيك .

التقط المبلغ ، وأعادته إلى جيبه في ارتباك ، وهو

يغمغم :

- فهمت .

ثم رفع عينيه إلى ، وابتسم في ارتباك ، مستطرداً :

- دون أية روااسب .. أليس كذلك ؟

هتفت في حسم :

- بالطبع .

اتسعت ابتسامته في ارتياح ، وهو يقول :

- شكراً لك يا آنسة ( سميحة ) .. شكراً لك .

ومدّ يده ليصافحني ..

وصافحني ..

\*\*\*\*\* ٧٥ \*\*\*\*\*

ولحظتها ، ودون أن أدري ، وقعت في البئر ..  
بئر الخيانة العميقة ..

لقد شعرت بانجذاب قوى تجاه ( علاء ) ..  
انجذاب جعلني أفكر فيه طيلة الوقت ..  
حتى بعد أن وصلت إلى منزلي ..

لقد نجح في احتواء مشاعري كلها طيلة الوقت ..  
وفي منزلي ، جلست في مقعد وثير ، ورحت  
أسترجع تفاصيل كل لحظة معه ..

كل كلمة .  
كل حرف ..  
كل حركة ..  
كل خلجة ..

كنت أسترجع ذلك في تليذذ ونشوة ، حتى  
فوجئت بصوت يقول :  
- أين تسبحين ؟

انفضت في مقعدي في فزع ، وقد باغتني  
الصوت بالفعل ، وهتفت في كحنق شديد :

\*\*\*\*\* ٧٦ \*\*\*\*\*

- ( وحيد ) .. لا تفعل هذا معي مرة أخرى .  
عقد ( وحيد ) حاجبيه ، وهو يقول :

- أفعّل ماذا ؟  
قلت في عصبية :

- لا تفاجئني هكذا .  
هتف في دهشة :

- أفاجئك ؟ ! .. لقد هتفت أناديك ثلاث مرات ،  
وعندما بدوت وكأنك في عالم آخر ، اقتربت منك ،  
وقلت ما قلت .

صحت في غضب :

- ما كان ينبغي أن تباغتني هكذا .  
حاول أن يبتسم في مرح مصطنع ، وهو يقول :

- لا بأس يا ( سميحة ) .. لن أفعّل ، ولن ..  
بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق في يدي في دهشة ،  
فصمت في حدّة :

- ماذا هناك ؟

\*\*\*\*\* ٧٧ \*\*\*\*\*

## ٩ - الفراق ..

لست أدري حتى اليوم ، كيف مرَّ ذلك الموقف ..  
لست أدري كيف تجاوز (وحيد) هذا ، وكيف  
أمكنني إقناعه بأن الدبلة قد آلمت إصبعي ، فخلعتها ،  
ووضعتها في حقيبتى مؤقتاً؟ ..

لست أدري حقاً كيف انتهى الأمر؟ ..  
لقد كدت أنهار تماماً ، عندما كشفت أنني قد  
نسيت - في غمرة انشغالي بـ (علاء) - أن أرتدى  
خيشة الزواج ، كعادتي عند عودتي إلى المنزل ..  
خيَّلتُ إلى أن ذلك اعتراف طبيعي مني ، بأن عقلي  
كان ينجونُ زوجي مع شاب آخر ..  
بأنني قد سقطت في بئر خيانة ..

وكمحاولة لاسترضاء (وحيد) ، ودفعه إلى نسيان  
ذلك الأمر ، رحلت أعامله في ود كامل ، وبمرح  
شديد ، وخيَّلتُ إلى أنه قد نسي تماماً بعدها ، إلا أنني  
لم أكد أستيقظ ، في الصباح التالي ، حتى بدا لي وكأن

رفع عينيه إلى وجهي في جزع ، وهو يهتف :  
- دبلة زواجنا يا (سميحة) ! أين دبلة الزواج ؟  
لحظتها أصابني الذعر حقاً ..  
لقد كشف (وحيد) لسعيتي ..  
وكشف خيانتى ..

\*\*\*



( وحيد ) قد ازداد غضباً وشكاً ، فقد كان يجلس على طرف الفراش متجهماً ، محنقاً ، حزيناً ، يتطلع إلى وجهي في مرارة ، فنهضت أسأله في قلق :  
- ماذا هناك ؟

لم يُجِبْ ، وراح يتطلع إلى وجهي في مرارة ، فكررت سؤالاً في توتر :

- ماذا هناك يا ( وحيد ) ؟

زفر في عمق ، وخيّل إلى أن دمعة نترقرق في عينيه ، قبل أن يشرح بهما قائلاً :  
- لا شيء يا ( سميحة ) .. لا شيء .

قالها ونهض يرتدى ملابسه في صمت ، ثم غادر المنزل ، دون أن يتبادل معي كلمة واحدة ، حتى أن هذا قد أقلقني في شدة ، فرحت أرتدى ثيابي في قلق ، وذهبت إلى الكلية متوترة ، ولم أكد أصل ، حتى وجدت ( علاء ) في انتظاري ، وهو يقول في لطفة :

- صباح الخير يا آنسة (سميحة) .. كيف حالك ؟

شعرت بسعادة شديدة لرؤيته ، وهتفت :

- في خير حال يا (علاء) .. شكراً لك .. كيف حالك أنت ؟

أجابني في حنان :

- رائع .

ثم تردد لحظة ، واستطرد في لطفة :

- أين تناولين غذاءك ؟

أجبت في لطفة مماثلة :

- في ( كافيتيريا ) الكلية .

ابتسم في خجل ، وهو يقول :

- أتناولينه وحدك ؟

قلت في حياء :

- ليس دائماً .

أسرع يقول في لطفة :

- ما رأيك أن نتناوله معاً اليوم ؟

اختلج قلبي في سعادة ، وقلت :

- لا بأس .

اتسعت ابتسامته في فرح ، وهو يهتف :



قاطعتها أنا هذه المرّة :

- لا ترسمي قصصاً في عقلك ، وتسعين إلى  
إقناعي بها .. إن علاقتي بـ (علاء) بالنسبة إلى ليست  
سوى علاقة زميل وزميلة .

صاحت في غضب :

- اشرحي هذا لزوجك .

انترعني ذكر زوجي من عنادي ، فشحب وجهي ،  
وأنا أقول :

- وما شأن زوجي بهذا ؟

هتفت في استهجان :

- ما شأنه ؟! .. إنك تخونينه يا (سميحة) ،

ألا تدركين هذا ؟

صحت في توتر :

- لا تبالغي .

هتفت في إصرار :

- بل تخونينه يا (سميحة) .. تخونينه ..

وإذا ما كان القول يؤلمك ، فالفعل أشنع .

\*\*\*\*\* ٨٣ \*\*\*\*\*

- سأتي لاصطحابك .

قلت مبتسمة في خجل :

- سأنتظر .

تهللت أساريره ، ولوّح بيده في سعادة ، واندفع  
يغادر المكان ، محاذراً أن يرتطم بـ ( نوال ) ، التي  
وقفت على باب حجرة اللجنة الاجتماعية ، تحدّق في  
وجهي بدهشة ، جعلتني أهتف بها في عصبية :

- حسناً .. ماذا هناك ؟

أجابتنني في استنكار :

- ( سميحة ) !! .. ألا تدرين ما تفعلين ؟

صحت في غضب :

- وماذا أفعل ؟! .. إنني أتحدّث مع زميل

جامعي و .....

قاطعتني في حدّة :

- لا تخدعي نفسك يا (سميحة) .. إنك لم ترى

نفسك ، وأنت تتحدّثين معه .. لقد كنت هائمة ..

هائمة كعاشقة صحراء .. كان ينبغي أن .....

\*\*\*\*\* ٨٢ \*\*\*\*\*

lillas.com

صرخت في ألم :

- اصمتي .

واصلت في حدّة :

- لن أصمت .. إنك تلوّثين شرفك وسمعتك ،

ولن أسمح لك بذلك ، حتى لو رغبت أنت .

صرخت بها :

- وما شأنك بي ؟

أجابتنى في مرارة :

- إننى صديقتك يا ( سميحة ) ، ومن حَقك على

أن أمنعك من الخطأ ، وأحوّل بينك وبين الخطيئة

هتفت في هلع :

- الخطيئة؟! .. أية أَلْفَاظ تستخدمين ؟

قالت في حدّة :

- الحقيقة .

عادونى عنادى ، فصرخت بها فى حَنَق :

- لا شأن لك أنت بالحقيقة .. إنها حياتى أنا ،

والحقائق تخصنى أنا وحدى ، وليس من حَقك أن .....

\*\*\*\*\* ٨٤ \*\*\*\*\*

بترت عبارتى بغتة ، ورحت أحَدِّقُ أمامى فى

ذهول ، مما دفع ( نوال ) إلى أن تستدير ، وتحَدِّقُ

بدورها فى نفس النقطة ، التى أحَدِّقُ أنا فيها ، قبل أن

تهتف فى سعادة عجيبة :

- أستاذ ( وحيد )؟! .. تفضل .. أهلاً بك هنا .

شحب وجهى فى شدة ، وهو يَصَافِحُها فى شرود :

مطلّعا إلى ، قبل أن يغمغم :

- كنت ماراً من هنا و .....

بتر عبارته مرّة أخرى ، وهو يتطلّع إلى يدي

الحالية من دبلة الزواج ، فأسرعت أخفيها فى راحة

يدي الأخرى ، وأنا أنعمغم فى عصبية :

- مرحباً بك فى أى وقت .

وقف صامتاً ، يتطلّع إلى وجهى ، فهتفت ( نوال ) :

- مرحباً يا أستاذ ( وحيد ) .. تفضل .

ثم أسرعت تغادر الحجرة ، مستطردة :

- سأحضر مشروباً مثلجاً .

وقفت صامتة ، متوترة ، أحاول الفرار من

\*\*\*\*\* ٨٥ \*\*\*\*\*

قلبي بين ضلوعي ، عندما أضافت ( نوال ) في خبث :  
- إنه زوج مدام ( سميحة ) .

اتسعت عينا ( علاء ) ، وامتعع وجهه ، وهو  
يحدّق في وجه ( وحيد ) ، وينقل بصره إلى في ارتياح ،  
ثم لم يلبث أن قال في صوت باكٍ مختنق :

- تشرفنا يا أستاذ ( وحيد ) .

نعمم ( وحيد ) في هدوء :

- فرصة سعيدة يا ( علاء ) .

رمقني ( علاء ) بنظرة أخرى ، حملت كل عتاب  
الدنيا ولومها ، ثم استدار ، وغادر المكان في خطوات  
سريعة ، وران على الحجرة صمت قصير ، قبل أن  
يقول ( وحيد ) في هدوء :

- سأنتظرك في المنزل .

وانصرف في خطوات رصينة ..

ولم يكذب يتعد عن مرمى السمع ، حتى هتفت في  
غضب :

- ماذا فعلت أيتها التعسة ؟

ابتسمت ( نوال ) في ارتياح ، وهي تقول :  
- لقد أنقذتك يا ( سميحة ) .

صرخت باكية :

- وما شأنك أنت ؟ .. إنك أسخف وأحقر من  
رأيت .. أغرّبي عن وجهي .. إنني أكرهك ، وأرفض  
صداقتك إلى الأبد .. إلى الأبد .

أومأت برأسها مستسلمة ، وقالت :

- لن يحزنني ذلك يا ( سميحة ) ، فيكفيني أنني  
قد أنقذتك .. أنقذتك من نفسك .  
صرخت :

- اغرّبي عن وجهي .. اغرّبي .

وكانت آخر مرّة نتحدث فيها ..

وآخر خيانة ..

\*\*\*

تخرجت من الكلية ..

لم يكن ذلك أمراً سهلاً ، بسيطاً ، كالفارق بين  
نهاية الفصل السابق ، وبداية هذا الفصل ..

ولم يستغرق فترة انتقال من هذا إلى ذاك ..

لقد استغرق أربع سنوات كاملة ..

أربع سنوات لم يتغيّر فيها الكثير بالنسبة لي ،  
وإن تغيّر بالنسبة إلى الجميع ..

(علاء) ارتبط بفتاة أخرى ، وخطبها ، وتزوجها  
فور تخرّجه ، ولقد نشرت المجلات صور حفل زفافهما ،  
نظراً لمكانة والده في المجتمع ..

و ( كوثر ) زميلتي تمت خطبتها لـ ( سامح ) ،  
شقيق ( نوال ) ، التي أرسلت لي دعوة خاصة ؛ لحضور  
حفل خطبتهما ، إلا أنني تجاهلتها تماماً ..

وعلاقتي بـ ( وحيد ) سادها فتور عجيب ، منذ  
موقفه مع (علاء) ..

لم يعد يبتسم في وجهي ، أو يداعيني أبداً ..  
كل الأمور بيننا كانت تسير على وتيرة واحدة ،  
جافة ، خالية من المشاعر تقريباً ..

ولكن هذا لم يعنني أبداً ..

وجدتها فرصة للابتعاد عنه ، وإراحة نفسي من  
صراعي المتواصل ، لإثبات أنني الأكثر تفوقاً ..

وازدادت اندماجاً وانهماكاً في نشاطات الكلية ،  
ومنح هو المزيد من الوقت والاهتمام لمكتبه ، فنشطت

أعماله ، وازدهرت أحواله ، وانعكس ذلك على  
نشاطات المنزل ، وعلى نفقاتي الشخصية ، فرحت أحياناً

كنساء الطبقة الارستقراطية ، وأنفق المال عن سعة ..  
ولم أعد أخلع دبلة الزواج في الكلية ..

لقد صار ( وحيد ) شخصية معروفة شهيرة ،  
يرُوق لي أن أفخر بها ..

والعجيب أنه لم يذكر أمر حادثه (علاء) أبداً ..  
ولم يعد لزيارتي في الكلية بعدها مطلقاً ..

وفي يوم تخرّجتي ، أخبرته في سعادة بنجاحي ،  
\* \* \* \* \* ١١ \* \* \* \* \*

ورحت أرسم خطط ومشروعات المستقبل ، وهو  
يستمع إلى في هدوء ، قبل أن ترسم على شفثيه ابتسامة  
باهتة ، وهو يقول في اقتضاب :  
- مُبارك .

ضايقتني بروده ، وعزوته - حينذاك - إلى غيرته ،  
فقلت في حدة :  
- فقط .

سألني في لهجة بدت لي ساخرة :  
- وماذا تريدن أيضاً ؟  
قلت في تحدة :  
- هدية نجاح .

صممت لحظة ، وهو يتطلع إلى وجهي في سكون ،  
على نحو لم أدرك مغزاه ، وأنا أتطلع إليه بدورى في  
حيرة ، قبل أن يقول في برود :  
- كم ؟

قلت في غضب :  
- ليس المهم هو كم .. المهم هو كيف .

\*\*\*\*\* ٩٢ \*\*\*\*\*

عاد يقول بتلك اللهجة ، التي تحمل رائحة السخرية :  
- حسناً .. كيف ؟

قلت في عناد :

- سنقيم حفلاً .

أجابني في اقتضاب :

- فليكن .

ولقد أقام الحفل في نفس الليلة ..

وكان حفلاً أنيقاً طريفاً ، حضره الأصدقاء  
والأقارب ..

وفي ذلك الحفل فاجأني ( وحيد ) بهدية ثمينة ..

بسوار ماسي فاخر ..

ورُحت أستعرض زوجي وهديتي ، وأفخر بهما  
أمام الجميع ..

وبعد أن هدأت الأمور ، وانصرف معظم الأقارب  
والأصدقاء ، وبقي والداي ، ووالدا ( وحيد ) ، قال  
أبي ، وهو جامد الملامح كعادته :

\*\*\*\*\* ٩٣ \*\*\*\*\*

– أظن أنه قد حان الوقت لتقبلي في بيتك ،  
وتسولينه بعض اهتمامك .. أليس كذلك ؟

احتقن وجهي في حَسَق ، وغمغمت في خفوت :  
– أظن أنني سأبحث عن عمل يا أبي .  
هتف في استنكار :

– عمل ؟! ..

ثم التفت إلى زوجي ، صائحاً :  
– أتقبل أن تعمل زوجتك ؟

كنت أتوقع أن يرتبك ( وحيد ) أمامه ، ويتلعثم ،  
وتتصاعد حمرة الحجل إلى وجنتيه كالمعتاد ، إلا أنني  
فوجئت به يقول في صرامة :

– كل النساء يعملنَ هذه الأيام يا عماء .

حدَّق أبي في وجهه بدهشة ، وكأنما لم يتوقع أبداً  
أن يجادله شخص ما ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في  
غضب وصرامة ، وهو يهتف :

– يا لكم من رجال !! .. في زماننا لم نكن .....  
قاطعاً ( وحيد ) مرة أخرى :

\*\*\*\*\* ٩٤ \*\*\*\*\*

– كل زمان له قواعده يا عماء .

احتقن وجه أبي ، وراح ينقل بصره بين الجميع  
في حَسَق ، ثم لم يلبث أن هبَّ واقفاً ، وهو يقول لأمي  
في حِدَّة :

– هيّا .. لقد تأخر الوقت ، ومن الأفضل أن  
ننصرف .

رآن الصمت تماماً ، بعد انصراف أبي بعدة دقائق  
ثم قال ( وحيد ) في توثر :

– إنني في الواقع أضيق بعمل زوجتي .. ولكنني  
أكره أن أفرض عليها ذلك .

ابتسم والده ، وهو يقول في هدوء :

– هذه قواعده المنطق يا ولدي .

عاد الصمت يسود المكان ، فنهضت قائلة :

– ما رأيكم في عشاء خفيف ؟

قال ( وحيد ) في هدوء :

– سيكون ذلك ظريفاً .

\*\*\*\*\* ٩٥ \*\*\*\*\*

ذهبت إلى المطبخ ، لإعداد العشاء ، ولحقت بي  
أم (وحيد) ، وهي تغمغم في حنان :  
- سأعاونك يا بنيتي .

وفي المطبخ ، وبينما نحن نعد طعام العشاء ، سألتني  
الأم في خفوت :  
- أخبريني يا (سميحة) ، ألا تتناكب مشاعر  
الأمومة بعض الوقت .

أدركت مغزى سؤالها ، وأحنقني أنها قد ألقته ،  
وبدأ لي أنه ليس من شأنها أن تفعل ، فعقدت حاجبي  
وقلت في غضب :

- كل أنثى تملك في أعماقها غريزة الأمومة ،  
وتسعى لتحقيقها .

قالت في لهفة :

- لم لا تحاولين إقناع (وحيد) بالإيجاب إذن ؟  
أدهشتني عبارتها في شدة ، فرحت أهدق في  
وجهها ، وأنا أهتف :

- أقنعه !؟ .. أنا !؟

ارتبكت الأم في شدة ، وتخضب وجهها بالحمرة ،  
ونغمغت في تلعم :  
- معذرة يا بنيتي .. أعلم أنه ليس من حق أن

أذكر مثل هذا الأمر ، أو أتحدث عنه ، ولكنك ينبغي  
أن تقدرى موقفي .. إن (وحيد) ابننا الوحيد ، ووالده  
وأنا نحلم برؤية أحفادنا ، ولكنه يصرّ على عدم الإنجاب  
في الوقت الحالي ، ونحن نجهل سرّ إصراره هذا ، ولقد  
منعنا في حزم ، من التحدث إليك في هذا الشأن ،  
وأن يكون في ذلك غيب لك ، ولمشاعر أمومتك  
الغريزية و .....

لم تم عبارتها ، وتلعثمت في شدة ، وهي تحدق في  
وجهي بدورها ، قبل أن تشيح بعينها عني ، وتغمغم  
في ارتباك :

- معذرة يا بنيتي .. إنني لم أقصد أن .....

لم أسمع باقي عبارتها ، فقد كانت دهشتي بالغة ،  
حتى أنني لم أكد أودع والدتي (وحيد) ، عند

انصرافهما ، في نهاية السهرة ، حتى التفتت إلى  
( وحيد ) ، وقلت في حدة :

– لماذا أخبرت والدتك أننا نرفض الإنجاب ؟  
تطلع إلى في دهشة ، قبل أن يعقد حاجبيه ،  
ويقول في برود :

– وكيف كنت تريدني مني أن أفسر لها الأمر  
إذن ؟ .. أكنت تفضلين أن أقول لها إنك لا تنجيين .

صحت في غضب :

– من قال هذا ؟

قال في حزم :

– ومن ينفيه ؟

عقدت ساعدي أمام صدري ، وأنا أقول

في عصبية :

– أنا أنثى كاملة ، سليمة ، وقادرة على الإنجاب .

قال في برود :

– من يثبت ؟

صرخت في عصبية بالغة :

\*\*\*\*\* ٩٨ \*\*\*\*\*

– هل تحاول استفزازي ؟

هز رأسه نفيًا في بظء ، وهو يقول :

– كلاً يا ( سميحة ) .. لست أحاول ذلك ..

صدقتني .. لست أحاوله .

ثم استطرده في حزم مفاجئ :

– ولكنني أبحث عن حقّي .

هتفت في استنكار :

– أي حق هذا ؟

أجابني في حدة ، وهو يشير إلى صدره في قوة :

– حتى في أن أكون أباً .. في أن يكون لي ولد ..

ابن أو ابنة .

قلبت شفتي في امتعاض ، وأنا أهتف :

– منك أنت ؟!

صاح في غضب :

– نعم .. مني أنا يا ( سميحة ) .. من زوجك .

صرخت في حدة :

\*\*\*\*\* ٩٩ \*\*\*\*\*



- زوجي؟! .. أنظن نفسك صاحب حق ،  
لهذه الصفة فحسب .

قال في غضب :

- أبة صفة تريدان إذن ؟

صرخت في تعال :

- صفة التحضر .. صفة الآدمية .

حدّق في وجهي بدهشة وألم ، وهو يقول في  
مرارة :

- وهل أفقر إلى الصفتين يا (سميحة) ؟

صحت في عجرفة :

- بالطبع .

ثم قلبت شفتي في ازدراء ، وأنا أستطرد :

- بأية صفة آدمية ومتحضرة تعاملت معي؟! ..

لقد تقدمت لخطبتي ، دون أن تسألني رأيي ، أو حتى

تهتم به ، وأتممت كل الإجراءات مع والدي وحده ..

تماماً مثلما كان يفعل الهمج .. إنك مجرد رجل .. رجل

يهوى السيطرة والغطرسة ، رجل يتصور أنه صاحب

لilas.com

كل الحقوق ، مجرد أن الله ( سبحانه وتعالى ) قد منحه  
صفة تشريحية ، لا فضل شخصياً له فيها .. مجرد رجل  
مغرور أناني ، يبحث عن يفرض عليه سيطرته ،  
ويثبت به رجولته و .....

قاطعني في غضب ، ووجهه محتقن في شدة :

- كفي .. كفي يا (سميحة) .

وتقاطرت المرارة في حروف كلمته ، وهو

يستطرد :

- كفي !!

ثم استعاد صوته حزمه ، وهو يردف :

- لست أريد ابناً منك .. منك أنت بالذات .

واندفع إلى حجرتنا ، وأغلق بابها في وجهي

بشدة ..

وكانت بداية النهاية ..

\*\*\*

\*\*\* 1.1 \*\*\*

على الرغم من خلافي الشديد مع (وحيد) ، إلا أنني شعرت بأحقيته في إنجاب ولد ، بعد أن احتتمل أربع سنوات دون إنجاب ، ورأيت أنه لا بأس من التنازل عن ذلك ؛ لإثبات كمال أنوثتي ..

ولأول مرة منذ زواجنا ، امتنعت عن تناول أقراص منع الحمل ، وانتظرت ثلاثة أشهر ليحدث الحمل ، دون جدوى ..

ومع مرور الوقت ، انتابني قلق حقيقي ..

لماذا لا يحدث الحمل ؟ ..

لماذا تأخر هكذا ؟ ..

أقلقني ذلك كثيراً ، خاصة وأن علاقة (وحيد)

بي قد فترت كثيراً منذ مشاجرتنا ليلة تخرجي ..

ولكن (وحيد) هذا شخصية عجيبة ..

إنه - وعلى الرغم من خلافنا - لم يقصر يوماً في

واجباته الزوجية نحوي ، فهو ينفق على المنزل ، وعلى

في سخاء ، ولا يتوانى عن منحى كل ما أرغب فيه ، ويتذكّر كل تواريخ مناسباتنا في دقة ، ويقدم لي الهدايا الثمينة .. وكل هذا جعلني أشعر بضرورة منحه ذلك الابن ، الذي يأمله ..

وعندما طال الوقت ، رأيت أنه من الأفضل أن أستشير طبيباً ..

ولم يكن ذلك سهلاً ..

لقد استمع إلى الطبيب في اهتمام ، وسألني في دقة

عن كل التفاصيل ، وعن كل ما تناولته من أدوية ،

وكل ما أصابني من أمراض ، ثم طلب منّي إجراء

عدة تحليلات كثيفة ومعقدة ..

ثم كانت الصدمة الكبرى ..

لقد قرأ الطبيب كل التحاليل ، وراجعها في اهتمام

بالغ ، ثم هزّ رأسه في أسف ، وخلع نظاره ، وهو

يتطلّع إلى وجهي ، الذي شحب كثيراً ، وأنا أسأله

في قلق وتوتر :

- ماذا هناك ؟

سألني في صوت حزين :

- ألدبك أطفال ؟

أجبتة في خوف :

- كلاً .. لماذا تسأل ؟

عاد يهز رأسه في أسف ، قبل أن يقول :

- معذرة يا بنيتي .. لن يقدر لك الإنجاب أبداً .

امتقع وجهي في كهلّع ، وانهرت فوق مقعدى ،

وأنأهتف في ارتياح :

- ماذا ؟!

قال في إشفاق :

- تلك التحايلات تؤكّد أنك كنت قادرة على

الإنجاب فيما مضى ، إلا أنك قد أسرفت في تناول

أقراص منع الحمل ، قبل أن يحدث أى حمل ، فتسبّب

هذا في حدوث خلل هرموني لك ، أدّى مع مرور

الوقت إلى تليف في المبيضين ، ولم يعد هناك أمل في

الإنجاب مرّة أخرى .

كدت أفقد الوعي أمامه ، وأنا أتمتم في شحوب :

\*\*\*\*\* ١٠٤ \*\*\*\*\*

- مطلقاً ؟!

أجابني في أسف :

- مطلقاً .

ثم قلبت كفتيه في تعاطف ، مستطرداً :

- لست أدري لماذا تلجأ فتاة مثلك إلى منع

الإنجاب ، في بداية زواجها ؟ .. من الضروري أن

يحدث الحمل مرّة واحدة على الأقل ، قبل أن تبدأ أية

فتاة في تناول أقراص منع الحمل .. يا إلهي !! .. لماذا

ترفضون الأمومة في هذا العصر ؟!

لم أكن أحتمل كلماته ..

كنت أبكي في حرارة ..

أبكي من أعماق أعماق قلبي ..

لقد طعننتي تلك النتيجة في أنوثتي ..

طعننتي طعنه نجلاء ..

إنني لم أعد أنثى كاملة ..

لم أعد كذلك ..

وغادرت عيادة الطبيب ، وأنا أبكي وأبكي ..

\*\*\*\*\* ١٠٥ \*\*\*\*\*

( ٨ = زوجي - زهور )

صافحتها في توتر ، قائلة :  
- مرحباً يا ( نوال ) .. كيف حالك ؟  
هتفت في سعادة ، وهي تجذب شاباً وسيماً في  
سعادة :

- يسعدني أن أقدم لك ( سمير ) .. خطيبي  
صافحت خطيبها في شroud ، وأنا أنغمم :  
- تشرّفنا .  
تابعت ( نوال ) ، وهي تشير إلى في لفظة :  
- مدام ( سميحة ) هي زوجة ( وحيد صبحي ) ،  
محاسب القانوني الشهير .

هتف ( سمير ) في دهشة وإكبار :  
- زوجته ؟! .. يا لها من مصادفة سعيدة !  
ثم عاد يصافحني في حرارة أدهشتني ، وهو يهتف  
في حماس :  
- تهنأني ياسيدي .. زوجك رجل رائع .. إنه  
مثلنا الأعلى ، منذ كنا في كلية التجارة .. إنه أفضل  
محاسب في ( مصر ) كلها .

\*\*\*\*\* ١٠٧ \*\*\*\*\*

وفي طريق عودتي إلى المنزل ، رُحت أتخسر على  
موقفي ، ثم لم ألبث أن شعرت بالمرارة والغضب ،  
لأنني قد فقدت نقطة قوة أمام ( وحيد ) ..  
ولكن لا ..

لن يعلم ( وحيد ) أبداً ، أنني غير قادرة على الإنجاب ..  
فليظن يوماً أنني غير موافقة عليه ..  
أنني أنا الراضة له ..  
لن أفقد قوتي أمامه أبداً ..  
لن أحنى رأسي له ..  
وفجأة .. وبينما أنا مستغرقة في مرارتي ، سمعت  
صوتاً من خلفي ، يهتف في لطفة وفرح :

- ( سميحة حسين ) ! .. يا لها من مصادفة جميلة !!  
التفت إلى مصدر الصوت ، وهتفت في دهشة :  
- ( نوال ) ؟!  
أسرعت تحتضني في لطفة وسعادة ، وهي تهتف :  
- كيف حالك يا ( سميحة ) ؟ .. إنني لم أرك منذ  
ثلاثة أشهر .

\*\*\*\*\* ١٠٦ \*\*\*\*\*  
lilas.com

حدقت في وجهه بدهشة ، وأنا أنعمم :

— ( وحيد ) ؟ !

هتف في حماس :

— بالطبع .. إنه أفضل ، وأنزه محاسب ، في الشرق الأوسط كله .. إنه رجل شريف ، يضربون به الأمثال ، في عالم المال ، ورجال الأعمال .. إن موافقته على مراجعة حسابات شركة ما ، تعني أنها فوق مستوى الشبهات .. صدقيني يا سيدتي .. إنه رجل رائع .

انتابني زهو شديد ، وأنا أسمع كل هذا المدح والتقريظ لزوجي ، وارتسمت على شفقي ابتسامة عريضة واسعة ، حتى أنني قد نسيت أمر الطبيب تماماً ، ورُححت أقول في فخر :

— يسعدني أن هذا رأيك .

هتف منفِعلاً :

— بل هو رأي الجميع يا سيدتي .

ثم عاد يصافحني ، مستطرداً :

— تهنأني .

\*\*\*\*\* ١٠٨ \*\*\*\*\*

انتفخت أوداجي فخراً . وصافحت ( نوال ) في سعادة ، وأنا أقول :

— كم تسعدني مقابلتك يا ( نوال ) .

قالت في فرح :

— إنها لا تفوق سعادتني برؤياك يا ( سميحة ) .

ثم انحنت تقبلني ، مستطردة :

— ولا تنسى أنك زوجة رجل رائع .

قلت في سعادة :

لن أنسى .

صافحتهما ، وانصرفت وأنا أرقص طرباً ، على الرغم من صدمتي بعدم قدرتي على الإنجاب منذ ساعات ..

وفجأة تذكّرت ..

تذكرت مأساة أنوثتي ..

وتلاشت بهجتي ..

تلاشي فخري وزهوي ..

وعادت الدموع تترقرق في عيني ..

\*\*\*\*\* ١٠٩ \*\*\*\*\*

## ١٢ - المواجهة ..

خامرتني رغبة قوية ، في أن أنقض على سيارة  
(وحيد) ، وأنزع منها تلك الفاجرة ، التي تجلس معه ..

إلا أنني كبححت هذه الرغبة ..

كبححتها ؛ لأنها ستظهرني بمظهر الزوجة الغيورة ..  
وستضعني في الموقف الأضعف ..

لذا فقد عدت إلى منزلنا ، وجلست أنتظره ، وأنا  
أتميز غيظاً ..

والعجيب أنني ، في غمرة غضبي وحنقي ، قد  
نسيت تماماً مشكلتي ومأساتي ..

نسيت أنني لم أعد قادرة على الإنجاب ..

يا للعجب !! ..

المفروض ، طبقاً لكل نظريات علم النفس ، أنه  
ما من غريزة أخرى ، تفوق غريزة الأمومة في قلب  
الأنثى ..

ولكنني في تلك اللحظة كنت نهباً لغريزة أخرى ..

\*\*\*\*\* ١١١ \*\*\*\*\*

ما فائدة زوج رائع ، لزوجة عاجزة عن

الإنجاب ؟ ..

ما فائدة حياتها معه ؟ ..

لقد فزت بالشهادة ، والزوج المناسب ..

وخسرت هبة الله ( سبحانه وتعالى ) ..

خسرت أمومتي ..

ومرّة أخرى رحمت أبكي ..

وفجأة .. وبلا مقدمات ، تحجّرت الدموع في

عيني ، واختلج قلبي في قوة وعنف ..

لقد رأيت أمامي سيارة (وحيد) ..

وكان هو داخلها ..

ولكنه لم ينتبه إليّ ..

لقد كان يتحدث في اهتمام شديد إلى فتاة ..

بل إلى حسناء ..

وكان يتحدث إليها بؤدّ واضح ..

ودّ محبّ عاشق ..

\*\*\*

\*\*\*\*\* ١١٠ \*\*\*\*\*

ارتسمت على شفتيه ابتسامة شبه ساخرة ، وهو  
يقول :

— ماذا بي ؟

ثم أغلق الباب خلفه في بساطة ، قبل أن يستطرد :

— إنتي كما أنا يا ( سميحة ) . لم تطرأ عليّ أية

تغيرات ، فيما عدا فؤدين وخطّهما الشيب قبل الأوان .

صحت في غضب :

— وماذا عن تلك الحفيرة ؟

عقد حاجبيه في دهشة واستنكار . وهو يقول :

— أية حفيرة ؟

صحت في ثورة :

— تلك الداعرة ، التي كانت تجلس إلى جوارك ،

في سيارتك ، والتي كنت تتحدث معها في عشق و .....

قاطعني في غضب :

— مهلاً يا ( سميحة ) .. إنك تتحدثين عن فتاة

محترمة .

صرخت في هياج :

غريزة التملك ..

لم أكن أحب زوجي حقاً ..

ولكنني أملكه ..

إنه زوجي أنا ..

رجلي أنا ..

وحدى أملك كل الحق فيه ..

وحدى صاحبة جسده وروحه ..

ولقد ملأت تلك الرغبة أعماقي ، وتلاشت إلى

جوارها كل الغرائز الأخرى ..

وكلما مضى الوقت ، دون أن يعود ( وحييد ) ،

تضاعف الغضب والحنق في أعماقي ، حتى سمعت صوت

مفتاحه ، وهو يدور في باب الشقة ، فوقفت أنتظره في

ردّتها ، مقطّبة الحاجبين ، محتقنة الوجه .. ولم يكده هو

يفتح الباب ، حتى تطلع إليّ في دهشة حقيقية ، وقال :

— عجباً !! . ماذا بك ؟

هتفت في غضب :

— بل ماذا بك أنت ؟

— محترمة؟! .. ما من فتاة محترمة تقبل أن تجلس  
مع رجل متزوج في سيارته ، وتستمع إلى همساته  
الدافئة ، على النحو الذي رأيتكما عليه .  
قال في حدة :

— ( سميحة ) .. هذه الفتاة هي ( ميرفت ) ..  
سكرتيرتي .

صرخت محتدة :

— أتريد مني أن أصدق هذا الهراء ؟

قال غاضباً :

— لو أنك تنازلت ، وزرت مكنتي مرة واحدة

مند زواجنا ، لعلمت بكل بساطة أنها سكرتيرتي ..

أدهشني أنه على حق ..

إنني لم أحاول أبداً زيارة مكنته ..

لم أفعل مرة واحدة ، طيلة سنوات زواجنا ..

ولكن هذا لم يبد لي عجيبياً ..

وبكل الحدة ، هتفت :

— هذا لا يهم ، فكونها سكرتيرتك من عدمه ،

\*\*\*\*\* 114 \*\*\*\*\*

لن يغيّر من الأمر شيئاً ، فلقد كنت تتحدث معها في  
هيام شديد .

عقد حاجبيه في شدة ، وهو يقول في صرامة :

— وما شأنك أنت بذلك ؟

صرخت في استهجان :

— ما شأنى؟! .. إنني زوجتك .

هتف في حدة :

— زوجتي؟! .. ألم تتذكرى ذلك إلا الآن ؟

صحت ، محاولة منعه من الاستطراد :

— إنني زوجتك ، شئت أم أبيت .

صرخ فجأة ، على نحو جعلني أرتجف خوفاً :

— خطأ .

تلعثمت على الرغم مني ، وأنا أعغمم :

— ماذا أصابك ؟

صرخ محققاً :

— أصابني؟! .. لقد عقدنا قراننا منذ ما يزيد

على أربع سنوات ، ولكنك لم تكوني زوجتي يوماً ..

\*\*\*\*\* 115 \*\*\*\*\*



الزواج لا يعنى علاقة جسدية فحسب ، إنه اندماج فى المشاعر والأحاسيس .. إنه حياة .

بدا لى أنه ينتزع البساط من تحت قدمى ، فأسرعت أقول فى حدة :

– لا تحاول تغيير الموضوع .. إننا نتحدث عن تلك الداعرة التى .....

صرخ فى غضب هادر :

– كفى .

صحت فى استنكار :

– ( وحيد ) .. ماذا تفعل ؟

صرخ فى وجهى ثائراً :

– هذه الفتاة ، التى تتحدثين عنها بهذه الصفاقة ،

هى زوجتى ..

تفجرت الكلمة فى أذنى كالقنبلة ..

ودوت فى قلبى ..

وفى عقلى ..

واشتعلت النيران فى أعماقى ..

خُيِّل إلى أننى لم أسمع الكلمة جيداً ..  
حتماً لم أحسن سماعها ..

من المستحيل أن يكون قد تزوج ..  
مستحيل ..

مستحيل ..

مستحيل ..

وبكل ما يملأ نفسى من ذهول ، رحلت أهدق  
فى وجهه ، قبل أن أهتف :

صاح فى غضب وحزم :

– نعم .. زوجتى .. اعتباراً من اليوم .

تفجرت غضب هائل فى أعماقى ، وصرخت فى ثورة :

– أيها الحقير .. كيف تجرؤ .....

قاطعتنى فى ثورة ، وبغضب جمّدت له الدماء فى  
عروقى :

– كفى .. إننى لم أعد أحتمل .

وقبل أن أنبس بينت شفة ، استطرد فى ثورة :

– إنك زوجة فاشلة ، متغطسة ، ومعقدة ..  
لقد أدركت ، منذ بدأ تعاملى مع والدك ، أنه السبب  
فى عقدتك .. سيطرته الشديدة على أمك ، جعلتك  
تسعين جاهدة للسيطرة على أى رجل .. ولقد كان من  
السهل على أن أمنعك من ذلك ، ولكننى اخترت  
الطريق الأكثر صعوبة .. قرّرت أن أحتمل ، حتى  
أحلّ عقدتك .

انعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يستطرد  
غاضباً :

– ولكننى فشلت .

زفر فى عمق شديد ، قبل أن يستطرد فى عصبية :

– لقد منحتك كل ما يمكن أن يمنحه زوج  
لزوجته .. واحتملت كل غطرتك المصطنعة ،  
وسخافاتك ، وكل عيوبك .. احتملت حتى أن تحرمينى  
من ابن أو ابنة .. احتملت ثورتك المستمرة ،  
وعصبيتك الزائدة ، على الرغم من كل ما يسببه لى ذلك  
من آلام .. لقد حاولت حتى أن أحمل عنك كل الأعباء ،

فلم أعترض على مواصلتك التعليم ، وتظاهرت أمام  
الجميع بأننى أنا الذى يرفض الإنجاب ، حتى لا تضع  
تساؤلاتهم مزيداً من الأعباء على كاهلك .

وبرقت عيناه فى غضب شديد ، قبل أن يواصل :  
– ثم لم أعد أحتمل .

انكشيت فى أعماقى أمامه ..

كان محقاً فى كل جملة نطقها ..

فى كل كلمة ..

فى كل حرف ..

ولكننى رفضت أن أسمح له بهزيمتى ..

واندفعت أقول فى حدة :

– فليكن .. إننى لم أطالبك بالتضحية من أجلى .

قال فى غضب :

– هذا صحيح ، ولكننى تصوّرت أنك تستحقين  
ذلك .

قلت فى كحسق :

– هذا شأنك ، ولكنه لا يبرّر خيانتك ..

— لقد استيقظت في الصباح منتشياً ، سعيداً ،  
وانحنيت على وجنتك أقبليها ، وهمست في أذنك بكلمة  
حب ، ولكنك مزقتني بكلمة واحدة .

تقاطرت المرارة مع كلماته ، وهو يستطرد في ألم :  
— لقد خاطبتني باسمه هو .

وجفت الدماء في عروقي ، وهو يردف :  
— باسم ( علاء ) ..

\*\*\*



\*\*\* ١٢١ \*\*\*

ابتسم في سخرية مريرة ، وهو يقول :

— خيانتى أنا ؟!

شحب وجهي ، وأنا أقول في عصبية :

— بالطبع .. خيانتك أنت .

هتف في سخرية :

— وماذا عن ( علاء ) ؟

انكشيت في أعماقي في شدة أكثر ، وأنا أنغمم :

— ماذا عنه ؟ .. إنه مجرد زميل دراسة و .....

قاطعني في سخرية وألم :

— مهراء .. أتذكرين ذلك اليوم ، التي استيقظت

فيه ، فوجدتني متجهماً ، حزيناً .. لقد عدت قبلها من

الكلية ، دون دبلية الزواج ، ولقد أحزنتني ذلك في

الواقع ، وجعلني أشك في أمرك ، وأتساءل عن السر ،

ثم أقنعت نفسي بأن هذا يعود فقط إلى محاولة منسك

للتظاهر بأنك مازلت فتاة صغيرة ، حتى جاء الصباح ..

صمت لحظة ، ازددت خلالها لعابه في ألم ، وكأنما

يبتلع ذكرى مؤلمة ، يغص بها حلقه ، قبل أن يستطرد :

\*\*\* ١٢٠ \*\*\*

كم يُدهشني ، وأنا أسترجع تلك الأحداث ، أنني  
لم أسقط فاقدة الوعي ، عندما نطق ( وحيد ) باسم  
( علاء ) ..

كم يدهشني أنني ظلمت واقفة على قدمي ..

لقد كشف خيانتني له ، منذ ثلاث سنوات .

كان هذا سرّ فتور علاقته بي إذن ..

كان هذا سرّ تباعد مشاعره نحوي ..

وبكل الخزي ، والمرارة ، والألم ، والعار ،

وقفت أستمع إليه مستسلمة ، مدحورة ، وهو يستطرد :

- لا يمكنك تصوّر قوة صدمتي .. لقد كاد قلبي

يتوقّف ، وزوجتي تخاطبني باسم شخص آخر ، بعد

ليلة حب .. كان هذا أشبه بطعنة خنجر ، غاصت في

قلب يخلج سعادة .

صمت ليزدرد لعابه في مرارة ، قبل أن يردف :

- وذهبت إلى مكنتي أترنج ، من فرط الألم

والمرارة ، وجلست هناك عاجزاً عن أداء عملي .. عن  
إتيان أية خطوة ناجحة .. ولكن .....

برقت عيناه ببريق عجيب ، وهو يواصل في حزم  
مفاجئ :

- كان عليّ أن أواجه الموقف .. إنه أسلوبني في

التغلب على كل مخاوفي ، وتحويل الهزائم إلى انتصارات ..

أن أواجهها .. لذا فقد ذهبت إليك في الكلية ،

وفاجأتك بزيارتي ، وتأكدت من أنك لا ترتدين دبلة

الزواج هناك .. ثم جاء هو ..

صمت ..

وطال صمته هذه المرّة ..

بدا وكأنه يستعد لوصف أسوأ موقف مرّ به في

حياته ..

كان من الواضح أن ما سيقوله ، في اللحظات

التالية ، يؤلمه أشد الإيلام ..

ولكنه قاله ..

كانت كلماته تقطر بالألم والمرارة ، وهو يقول :

– وعندما رأيته ، حاولت أن أعلم ما الذي  
جذبك إليه .. ما الذي جعله يملأ عقلك وقلبك ..  
بدلاً من زوجك .. ولكنني عجزت ، فلقد كان لقائي  
به أقصر من أن يساعدي على فهمه ، ولكنني أدركت  
يومها نقطتين ، كانتا أهم عندي من معرفته .. أدركت  
أن ( نوال ) هي أخلص صديقاتك على الإطلاق ،  
وأنها قد تعمّدت إحضاره إلى الحجرة ، ليعلم أنك  
زوجة ، وليبتعد عن طريقك .. فهمت أنها كانت  
تحاول إنقاذك من نفسك .. وأدركت أيضاً أن هذا  
صدم ( علاء ) ، وأنه سيبعده عن طريقك تماماً ..  
أدركت هذا ، ولكنه لم يكف لتستعيدين مكانتك في  
قلبي .. لقد كرهت حبي لك ، منذ ذلك اليوم ،  
وشعرت أنه يورثني كل الضعف والمهانة ، ورحت  
أعمل جاهداً لوأد حبك في قلبي ، والقضاء عليه ..  
ولكنني حرصت في الوقت ذاته على ألا أراجع عن  
وعد قطعتك لك ، أو كلمة قلتها ..

بكيت في ألم ومرارة ، وأنا أنغمم :

– لم تنشأ أية علاقة بيني وبين ( علاء ) .. أقسم لك .  
مطّ شفتيه ، وهو يقول في حزن :  
– تقصدين أنه لم يكن هناك وقت كافٍ لذلك ..  
هذا ما قد أصدّقه .

ثم صمت طويلاً ، وكأنه يفكّر في أمر ما ، قبل  
أن يستطرد :

– أتعلمين يا ( سميحة ) .. لقد اتهمتنى بأنني غير  
آدمي ، أو متحصّر ؛ لأنني تزوّجتك دون معرفة رأيك ،  
ولكن العجيب في هذا أنك أنت دفعتني إلى ذلك .  
هتفت في دهشة :

– أنا ؟!

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يغمغم :

– نعم يا ( سميحة ) .. أنت .

وملأ صدره بتهيدة قوية ، قبل أن يستطرد :

– لقد رأيتك عدة مرّات ، وأنا في طريقى إلى

مكتبي .. رأيتك تتجهين إلى مدرستك .. وكنت

– والحق يقال – مثلاً للالتزام والأدب ، وحسن

الخلق ، مما جذبني إليك في شدة ، بل أستطيع أن أوكد  
أنني قد أحببتك دون أن نتبادل كلمة واحدة .. ولقد  
حاولت أن أتقرب منك ، وأن أفاتحك في أمر رغبتني  
الزواج منك ، ولكنك كنت تواجهين محاولاتي في  
صرامة وحزم ، دون حتى أن تلتفتي إليّ ، إلا بالندر  
اليسير ، وبلمحة سريعة ، ونظرة صارمة ..

يا إلهي !! ..

إنه صادق في قوله ..

لهذا بدا لي مألوفاً ، يوم حضر لطلب يدي ..  
لهذا خُيِّل إليّ أنني أعرفه ..

لقد حاول حقاً أن يحادثني عدة مرّات ..

وقبل أن أستطرد في أفكارى ، كان هو يتابع في

حزن :

— ولقد أعجبنى هذا حقاً يا ( سميحة ) ، ورأيت

تأكيداً لمدي تهذيبك ، وحسن تربيتك .. ورأيت أن

فتاة مثلك لا يصلح التقدم إليها ، سوى بوسيلة واحدة ..

الخطبة الرسمية .. وهكذا فاتحت والدك في الأمر ،

\*\*\* ١٢٦ \*\*\*

وجئت مع والدي لرؤيتك وطلب يدك .. ولهذا السبب  
قرأت مع والدك الفاتحة ، دون أن أسألك رأيك .. أنت  
منحتني الشعور بأن هذا أسلوبك ، ومقابلتي لوالدك  
أكدت لي هذا في أعماقي .. ولكنني كنت مخظناً ..

تهنأ مرة أخرى في عمق ، وأضاف :

— لقد احتملت منك الكثير يا ( سميحة ) ، وكان

من الممكن أن أحتمل المزيد ، لولا ثورتك ، عندما

طالبتك بحقي في أن يكون لي ابن منك .

تصاعدت حدّة كلماته ، كما لو أن ذكر هذا

الامر يثيره ، وهو يستطرد :

— إن ما أعلمه ، من خلال خبراتي ، يؤكّد لي

أن الزوجة التي تحب زوجها تتمنى أن تنجب منه ابناً ،

يربط حبهما ، ويقوى علاقتهم .. أما أنت ، فقد كنت

تكرهينني حتى النخاع .. لست أدري لماذا؟! ولكن هذه

كانت حقاً مشاعرك ، التي خاطبتني بها في ذلك اليوم .

ذكرتني كلماته بمأساتي ، فرحت أبكي في حرارة

والم ، وأنا أنعمم :

\*\*\* ١٢٧ \*\*\*

رفع عينيه إلى لحظة ، ثم عاد يخفضهما ، وهو  
يلقى في وجهي تلك الكلمة ، التي مزقتني ، وما زالت  
تمزقني حتى الآن :

– لقد طلقتك هذا الصباح يا ( سميحة ) .. أنت  
طالق .

اتسعت عيناى فى هلع ورعب ، وعجزت ساقاى  
عن حملى ، فتهاويت فوق مقعدى ، ورأيت يغادر المنزل  
فى صمت وهدوء ..

ويغادر حياى ..

إنه لم يعد ( وحيد ) الذى أعرفه ..

لم يعد زوجى ..



– لن أكون أمًا لابنك يا ( وحيد ) ، ولا لابن  
أى رجل آخر .

ويبدو أنه لم يدرك ما أعنيه ، فقد لوّح بكفه فى  
حدة ، قائلاً :

– وأنا لم أعد أرغب فى أن أكون أباً لابنك ..  
لم أعد أرغب حتى فى أن أكون زوجاً لك .

انهرت أمامه تماماً ، وأنا أقول :

– لم يفت كل شيء بعد يا ( وحيد ) .. لو أنك  
تحبني حقًا ، فيمكننا أن نبدأ من جديد ، وأن  
قاطعني فى صرامة حزينة :

– سبق السيف العزل يا ( سميحة ) .

هبط قلبي بين قدمي لكلمته ، وهتفت فى ارتياح :

– ماذا تعنى ؟

خفض عينيه ، وهو يقول فى ألم :

– لقد تزوّجت ( ميرفت ) .

هتفت متضرعة :

– اتركها يا ( وحيد ) .. اتركها من أجلى .

لم يكن طلاقى من ( وحيد ) هو ذروة مأساتى ..  
المأساة الحقيقية هى أنى قد اضطررت للعودة إلى  
العيش مع أبى وأمى ..

عدت مدحورة مهزومة ..  
عدت مطلقّة ..

وتضاعفت غطرسة أبى وقسوته ..  
وتضاعفت خشونته وحيدته ..

صار لى أشبه بسجّان مخيف ، على الرغم من تجاوزه  
الستين من عمره ..

و صار علىّ أن استسلم لعذابى تماماً ..  
كنت أدفع الثمن ..

ثمن عقدة ، صنعها أبى فى أعماقى ..

و ثمن رفضى لأعظم رجل عرفته فى حياتى ..  
لزوجى ..

يا إلهى !! .. كم كنت أنانية جاحدة ..

لقد منحنى الله ( سبحانه وتعالى ) زوجاً محبباً ،  
عطوفاً ، شابباً ، ناجحاً ، ولكنى أبيت أن أمنحه من  
نفسى شيئاً ..

حرمة حبى وحنانى ..  
حرمة أنوثتى ..

و حرمت نفسى معه أمومتى ..

كل هذا لأننى حاولت أن أنتقم من أبى فى صورته ..  
حاولت أن أجعل منه كبش الفداء ، لكل حقد

حياتى ..

والآن أنا لا أحب سواه ..

إنى أعشقه ..

أذوب فى هواه ..

و كم قضيت الليل أبكى ، وأنا أدعو الله أن يعيده  
إلىّ ..

لو عاد ، فسأقضى عمرى خادمة تحت قدميه ..

سأفنى حياتى فى رعايته ..

سأمنحه كل حنانى وحبى ..



وبعدها أجيبوني بالله عليكم  
أنا مجرمة أم ضحيّة؟  
مجرمة أم ضحية؟  
أجيبوني قبل أن أجن  
وأعيدوه إلى ..  
أعيدوا روجي ..

\* \* \*

( تمت بحمد الله )

\* \* \* \* \* ١٣٣ \* \* \* \* \*

ولكن للأسف ..  
لن أمنحه ابناً ..  
( ميرفت ) منحته إيساه ..  
لقد أبلغتني ( نوال ) أمس ، أنها قد أنجبت له ابناً  
جميلاً ، يجمع ما بين جمالها ووسامته ..  
وهو يستحق ..  
إنه رجل رائع بحق ، وما من شك في أنه سيكون  
أباً أروع ..  
ولكن ما مصيري أنا؟ ..  
ما ذنبي !؟ ..

\* \* \*

لقد قصصت عليكم قصتي كلها ، ورويت لكم  
مأساتي ، فهل لكم أن تشاركوني في إصدار الحكم على  
نفسي؟ ..

لا تكونوا قساة ..  
أقرئوا القصة مرّة أخرى ..  
أقرئوا التفاصيل .. كل التفاصيل ..

\* \* \* \* \* ١٣٢ \* \* \* \* \*

liilas.com